

إخترنا لك

مذكرات ونستون تشرشل

الجزء السادس

اخترنا لك

مذكرات ونستون تشرشل

الجزء السادس



روسيا وبولندا

لقد بحثنا موضــوع بولندا فى نحو سبعة اجتماعات من الاجتماعات الرسمية التى عقدناها فى يالته ، وتمكنا بمساعدة وزراء خارجيتنــا ومســاعديهم ــ الذين عقــدوا اجتماعات عدة وطويلة واحتدمت بينهم المناقشات الحادة ــ من الوصول أخيرا الى بيان رسمى ، يمثل وعدا منا للعالم واتفاقا بيننا على اجراءاتنا المقبلة ، ولكن فصـــــول القصة المؤلمة لم تكتمل بعد ، كما لم تعرف جميع الحقائق الصحيحة تمام المعرفة ، الا أن ما دونته هنا يلقى ضــوءا على الجهود التى بذلناها فى المؤتمر قبل الأخير ، من مؤتمراتنا الحربية ، حيث كانت المشــكلات والمتاعب قديمة ومتعــــددة وحتمية ، وكانت حـــكومة لوبلين البولندية التى يرعاها الروس والتى يطلقون عليها اسم حكومة « وارسو » تنظر الى حـــكومة لندن البولندية ، بشعور من العداء المرير ، وكانت العلاقات بينهما قد ســـاءت بعد اجتماع موسكو الذى عقد فى أكتوبر ، وكانت القوات الروسية تتدفق عبر بولندا ، وقد اسندت الى جيش المقاومة السرية البولندى مهمة قتل الجنود الروس ،واعمال التخريب والهجوم على مناطق المؤخرة وعلى طرق المواصـلات ، ولم يكن فى وسع الحلفاء الغربيين الحصول على معلومات أو الوصول الى المنطقة ، وكان هنـاك أكثر من مائة وخمسين الف جندى بولندى يقاتلون ببسالة فى ايطاليا، وفى الجبهة الغربية لتدمير الجيوش تدميرا نهائيا ، وكان هؤلاء وغيرهم كثيرون فى أوروبا يتطلعون بشوق الى تحرير وطنهم ، كما كانت الجالية البولندية الكبيرة فى الولايات المتحدة تنتظر فى شوق ولهفة الى تسوية نهائية بين الدول العظمى .

ويمكن تلخيص الموضوعات التى بحثناها فيما يلى :

كيف يمكن تأليف حكومة بولندية واحدة مؤقتة ؟

وكيف ومتى تجرى الانتخابات الحرة ؟

وكيف تسوى الحدود البولندية فى الشرق والغرب ؟

وكيف نؤمن مناطق المؤخرة وطرق المواصلات للجيوش السوفييتية الزاحفة ؟

ولا ريب فى أن قضـــية بولندا ، كانت من أهم العوامل التى دعت الى عقد مؤتمر يالته ، وكانت من اهم القضايا الرئيسية التى ادت الى انهيار الحلف الأعظم ، وكنت من ناحيتى على ثقة ، فى أن قيام بولندا، قوية ، وحرة ومستقلة ، أهم بكثير من الحدود الاقليمية المعنية ، وقد

اردت أن يعيش البولنديون احرارا ، وأن يحيوا الحياة التى يريدونها كما يشاءون ، ولا ريب فى أن هذا هو السبب الذى دفعنا الى الحرب ضد المانيا فى عام ١٩٣٩ ، وكاد هذا الثمن نفسه يكلفنا حياتنا لا كامبراطورية ، بل كدولة أيضا .

ولذلك فانه عندما اجتمعنا فى السادس من فبراير عام ١٩٤٥ ؟ عرضت الموضوع على النحو التالى : اليس فى وسعنا أن نخلق حكومة او جهازا حكوميا لبولندا يتولى ادارة البلاد بصورة مؤقتة الى أن يتم اجراء انتخابات حرة وكاملة يعترف بها الجميع ؟ واذا تمكنا من تحقيق ذلك فاننا نكون قد خطونا خطوة عظيمة نحو أحلال السلام فى المستقبل لأوروبا الوسطى .

وادعى ستالين ، فى النقاش الذى تلا ذلك ، انه فهم موقفنا وذكر أن بولندا ، تمثل بالنسبة الى البريطانيين قضية كرامة ، ولكنها تمثل بالنسبة الى الروس قضية كرامة وسلامة معا ، حيث توجد خلافات كثيرة بين الروس وبينهم ، وهم يريدون القضاء على اسباب هذه الخلافات ، لأن بولندا تقوم على حدود روسيا ، ولقد كانت دائما ممرا يجتازه أعداء روسيا لمهاجمتها وقد فعل الالمان هذا مرتين فى بحر ثلاثين عاما ، لأن بولندا كانت ضعيفة وتريد روسيا من بولندا أن تكون قوية تستطيع اغلاق هذا الممر بقوتها وحدها ، لأن روسيا لا تستطيع اغلاقه من الخارج ، وهذه قضية حياة أو موت بالنسبة الى الدولة السوفييتية .

أما بالنسبة الى الحدود ، فقد قال ستالين ان الرئيس روزفلت قد اقترح اجراء بعض تعديلات على خط كرزون ، وأن تعطى «لوار» وبعض المناطق الأخرى الى بولندا ، وقد قلت أن مثل هذا العمل سيكون بادرة ترمز إلى الشهامة ، الا أن ستالين أشار الى أن الروس لم يكونوا هم الذين اخترعوا خط كرزون ، فقد رسم كرزون وكليمنصو وممثلو الولايات المتحدة هذا الخط فى مؤتمر الصلح لعام ١٩١٨ ، الذى لم تدع روسيا الى حضوره ، ولم يوافق لينين على هذا الخط .

وعندما عدنا الى الاجتماع فى السابع من فبراير ، ذكرت مستمعى باننى قد حددت دائما تحرك الحدود البولندية غربا بقولى ، ان من حق البولنديين أن يكونوا أحرارا فى الحصول على أراضى فى الغرب على الا تكون أكثر مما يستطيعون ادارته ادارة صحيحة ، ولو اخذت بولندا بروسيا الشرقية وسيليزيا حتى نهر الاودر ، فان هذا يعنى نقل ستة ملايين المانى الى المانيا ، ومن الممكن ان يسوى الموضوع على هذا النحو .

وقال ستالين ان هذه المناطق خالية من الالمان لانهم فروا منها جميعا ، وقد رددت عليه قائلا ، ان السؤال هو ، هل يتسع للالمان ما تبقى من المانيا ؟ ولقد قتل ستة ملايين أو سبعة ملايين المانى ،وقد يقتل مليون أو مليونان كما اقترح ستالين قبل انتهاء الحرب ، ولذا فسيكون هناك مجال لهؤلاء المهاجرين الى حد ما ، وانا لا افزع من

مشكلة نقل السكان ، اذا كان في وسع البولنديين أن يديروا أمر البلاد التي يستولون عليها ، ولكن هذه القضية تتطلب درسا ، لا كموضوع مبدأ ، ولكن كموضوع أرقام تجب معالجتها .

وقد وافق المستر روزفلت في الثامن من فبراير ، على أن يكون خط كرزون هو الحدود الشرقية لبولندا ، ولكنه كان صلبا ودقيقا في موضوع الحدود الغربية ، اذ من الواجب أن تأخذ بولندا تعويضات على حساب المانيا ، ولكن ليس ثمة مبرر لامتدادها الى نهر الميسيسبي الغربي ، وكان هذا رأيي دائما ، وكان علي أن أعيد التكلم في موضوعه، عندما اجتمعنا في بوتسدام بعد خمسة أشهر .

وهكذا كنا متحدين في بالته ، من ناحية المبدأ ، بصدد الحدود الغربية وكان السؤال الوحيد ، هو أين يجب أن يرسم تماما هذا الخط ؟ وما يمكننا قوله في هذا الموضوع ، هو انه يجب أن يأخذ البولنديون جزءا من بروسيا الشرقية ، وأن يكونوا أحرارا في الامتداد الى نهر الأودر ، ولكننا لم تكن على ثقة ، فيما اذا كان في وسعنا أن نمضي الى أبعد من هذا ، أو أن نقول شيئا من هذا الموضوع في هذه المرحلة ، وبعد ثلاثة أيام قلت للمؤتمر ، انني قد تلقيت برقية من وزارة الحرب ، تعترض على أية اشارة الى الحدود على نهر الميسيسبي الغربي ، لأن مشكلة نقل السكان ستكون أضخم من أن تعالج .

ولهذا فقد قررنا أن ندخل الفقرة التالية في اعلاننا المشترك :

« يرى رؤساء الحكومات الثلاث ان حدود بولندا الشرقية يجب ان تسير مع خط كرزون ، مع بعض الانحرافات عنه في بعض المناطق التي لا تتجاوز خمسة كيلو مترات أو ثمانية لمصلحة بولندا ، وهم يعترفون أن على بولندا أن تتنازل عن بعض الاراضي في الغرب والشمال ، وهم يشعرون ان من الواجب تحري رأي الحكومة البولندية المؤقتة الممثلة للوحدة الوطنية ، في الوقت المناسب ، بالنسبة الى مدى هذه التساهلات وأن يؤجل التخطيط النهائي لحدود بولندا الغربية الى مؤتمر الصلح » .

وظلت أمامنا مشكلة تأليف الحكومة البولندية التي نستطيع الاعتراف بها جميعا ، والتي يرضى بها الشعب البولندي ، وقد بدأ ستالين الحديث بالاشارة الى أننا لا نستطيع تعيين حكومة بولندية الا اذا وافق عليها البولنديون أنفسهم . وكان ميكولاجيك وجرابسكي قد وصلا الى موسكو ، في أثناء زيارتي الماضية لها ، وكانا قد اجتمعا مع حكومة لوبلين ، ووصلا معها الى حد من الاتفاق ، ثم غادرنا ميكولاجيك الى لندن على أساس أنه سيعود ، ولكن زملاءه في لندن ، أخرجوه من رياسة الوزارة . لمجرد أنه فكر في الاتفاق مع حكومة لوبلين ، وكانت حكومة لندن البولندية معادية تمام العداء لمجرد فكرة حكومة لوبلين ، وكانت تصفها بأنها شركة من المجرمين وقطاع الطرق وكانت حكومة لوبلين تضفي على حكومة لندن البولندية الأوصاف

نفسها وكان من الصعب الوصول الى حل في هذا الموضوع ، وقد قال ميكولاجيك :

« تحدثوا الى حكومة لوبلين ان شئتم ، فسأحملهم على المجيء اليكم هنا أو في موسكو ، ولكنهم لا يقلون ديمقراطية عن ديجول ، وفي وسعهم أن يحفظوا السلام في بولندا وأن يوقفوا الحرب الأهلية والهجمات على الجيش الأحمر ، ولكن جماعة لندن لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك ، فعملاؤهم في بولندا قد قتلوا الجنود الروس وهاجموا مستودعات أسلحتهم للحصول على السلاح ، وكانت محطات اذاعتهم تعمل بدون ترخيص وبدون تسجيل » .

ومن المهم بالنسبة للجيش الأحمر ، أن تكون مناطق مؤخرته سليمة مأمونة وهو كرجل عسكري لا يستطيع أن يؤيد الا الحكومة التي تستطيع تأمين هذه المؤخرة .

ولما كان الوقت متأخرا في هذه الليلة ، فقد اقترح الرئيس روزفلت تأجيل الاجتماع الى اليوم التالي ، ولكنني رأيت من المناسب أن أقول انه طبقا لمعلوماتنا ، فانه لا يوجد أكثر من ثلث الشعب البولندي يؤيد حكومة لوبلين ، اذا سمح له أن يعبر عن رأيه في انتخابات حرة ، وأكدت لستالين اننا كنا نخشى دائما من وقوع اصطدام بين الجيش السري البولندي وحكومة لوبلين ، لما يسفر عنه من سفك دماء واعتقالات ونفي ، وأن هذه الخشية هي التي تدفعنا الى الرغبة في الوصول الى ترتيب مشترك ، ومن الواجب حتما أن يعاقب المسئولون عن مهاجمة الجيش الأحمر ، ولكن بالنسبة الى مالدي من معلومات ، فانني لا أستطيع أن أشعر أن من حق حكومة لوبلين أن تقول انها تمثل الشعب البولندي .

ولما كان الرئيس شديد الرغبة في انهاء النقاش ، فقد قال ، لقد كانت بولندا مصدرا للمتاعب أكثر من خمسمائة عام ، فرددت عليه قائلا ، وهذا وحده كاف ليدفعنا الى أن نعمل كل ما في وسعنا لانهاء هذه المتاعب ، ثم انفض الاجتماع .

هذا وقد وجه الرئيس في تلك الليلة رسالة الى ستالين ، حثه فيها على وجوب دعوة ممثلين عن حكومة لوبلين ، وممثلين آخرين عن حكومة لندن ، يأتون من انجلترا أو من داخل بولندا نفسها للمجيء الى يالته ، والاشتراك في المؤتمر ، وأن يحاولوا معا ، وبحضورنا ، الاتفاق على حكومة مؤقتة ، نستطيع الاعتراف بها جميعا ، لتتولى اجراء الانتخابات الحرة في أسرع وقت ممكن ، ولكن بدا أن هذا الاقتراح غير عملي ، فقد اطرى مولوتوف فضائل حكومة لوبلين - وارسو - وحمل على مساوىء جماعة لندن وعيوبهم ، وقال ، اننا اذا حاولنا خلق حكومة جديدة ، فان البولنديين انفسهم قد لا يصلون الى اتفاق أبدا ، ولذا ، فانه من الأفضل « توسيع » الحكومة القائمة ، وستكون هذه الحكومة على كل حال مؤقتة ، اذ أن هدفنا الوحيد جميعا ، هو اجراء انتخابات حرة في بولندا في أسرع وقت ممكن ، وسيتفق على

طريقة لتدعيم الوزارة مع السفيرين البريطانى والأمريكى فى موسكو ، ولكونه راغبا فى الاتفاق فانه يقبل اقتراح الرئيس روزفلت بدعوة بولنديين من غير رجال حكومة لوبلين ، ولما كان هناك احتمال بأن ترفض حكومة لوبلين التحدث الى بعضهم كميكولاجيك مثلا ، الا انه اذا مابعثوا بثلاثة ممثلين وجاء ممثلان من أولئك الذين اقترحهم المستر روزفلت فان المحادثات قد تبدأ فوراً .

وهنا قلت : ان هذه النقطة هى عقدة المؤتمر بالذات ، وان العالم كله يرقب تسوية هذه القضية ، واذا افترقنا من هنا وما زال كل منا يعترف بحكومة بولندية تختلف عن الأخرى ، فان العالم بأسره سيرى ان الخلافات الجوهرية ما زالت قائمة بيننا ، وستكون النتائج باعثة على الأسى ، وستحكم على اجتماعنا بالفشل الذريع ، واذا أطحنا بحكومة لندن ، وأيدنا حكومة لوبلين ، فسترتفع هناك ضجة عالمية ، وسيحتج علينا جميع البولنديين الذين يعيشون خارج بولندا .

ولما كان يعمل معنا جيش بولندى يضم مائة وخمسين الفا ، جمعوا من كل الرجال القادرين على حمل السلاح خارج بولندا ، وقد قاتل هذا الجيش وما زال يقاتل ببسالة ، فانا لا أستطيع ان أصدق بأن هذا الجيش سيرضى أبدا من حكومة لوبلين ، واذا كانت بريطانيا العظمى ، ستنقل اعترافها من الحكومة التى اعترفت بها منذ بداية الحرب ، الى حكومة لوبلين ، فان هؤلاء الجنود سينظرون اليها على انها خانتهم .

ومضيت اقول : ولا ريب فى أن الماريشال ستالين والمسيو مولوتوف يدركان تمام الادراك ، بأننى لم اكن راضيا عن اعمال حكومة لندن ، التى كنت أرى فيها الحمق فى كل مرحلة من المراحل ، ولكن نقل اعترافنا رسميا من هؤلاء الذين كنا نعترف بهم حتى الآن ، الى هذه الحكومة الجديدة ، سيعرضنا الى أشد ما يمكن من النقد ، وسيقال ان حكومة جلالته ، قد سلمت تسليما كاملا فى موضوع الحدود الشرقية ، كما فعلنا حقا ، واننا قد قبلنا وتبنينا الدفاع عن وجهة النظر السوفييتية ، وسيقال ايضا اننا فصمنا علاقاتنا كلية مع حكومة بولندا الشرعية ، التى اعترفنا بها طيلة السنوات الخمس الماضية من الحرب ، واننا لا نعرف شيئا عن حقيقة ما يقع فى بولندا ، فنحن لا نستطيع دخول تلك البلاد ، ولا نستطيع أن نرى ، وأن نسمع حقيقة الرأى العام فيها ، كما سيقال اننا نقبل كل ما تقول به حكومة لوبلين عن رأى الشعب البولندى ، وستتهم فى برلماننا نفسه ، باننا تخلينا عن قضية بولندا ، وستكون المناقشات التى ستتلو ذلك فى البرلمان مؤلمة كل الايلام ، ومربكة لوحدة الحلفاء ، حتى ولو افترضنا اننا قد تمكنا من قبول اقتراحات صديقى المسيو مولوتوف .

واستطردت اقول : واعتقد ان هذه الاقتراحات ستقربنا الى الوصول الى حل ، فاذا تخلينا عن حكومة لندن البولندية ، فيجب ان نبدأ بداية جديدة من الطرفين على اسس متكافئة تقريبا ، فقبل ان نتوقف عن الاعتراف بحكومة لندن ، وقبل أن ننقل هذا الاعتراف

الى حكومة اخرى ، يجب أن نتأكد من أن هذه الحكومة الجديدة تمثل حقا الشعب البولندى ، وأنا أوافق على أن هذه وجهة نظر واحدة ليس الا ، لأننا لا نعرف حقا ، جميع الحقائق وستزول جميع خلافاتنا حتما، اذا جرت انتخابات عامة وحرة فى بولندا على أساس الاقتراع السرى ، والتصويت العام ، وحرية الترشيح ، واذا ما تحقق هذا ، فان حكومة بريطانيا ، ستحنى رأسها اجلالا للحكومة التى تتمخض عنها مثل هذه الانتخابات ، ودون أن تكترث بحكومة لندن ، ولا ريب فى أن الفترة التى تسبق الانتخابات هى التى تسبب لنا الكثير من القلق .

وقال مولوتوف : انه يأمل أن تسفر محادثات موسكو عن نتائج مجدية ، وستتاح الفرصة للبولنديين ليقولوا ما يريدونه ، وسيكون من الصعب معالجة الموضوع بدون وجودهم ، وقد وافقته على رأيه ، ولكننى قلت ان من المهم أن ينفض المؤتمر ، وقد ظهر بمظهر المتفق على شىء يجب أن نعمل جميعا بأناة للوصول اليه .

وهنا تدخل ستالين ، فتناول شكواى من اننا لا نتلقى اية معلومات ولا سبيل لنا للوصول الى هذه المعلومات .

فرددت عليه ، بأن لدى بعض المعلومات .

فقال : ولكنها لا تتفق مع معلوماتى ، ثم مضى يؤكد لنا أن حكومة لوبلين ، تحظى بتأييد الشعب ولا سيما بيروت وغيره من رجالها ، فهؤلاء الرجال لم يغادروا البلاد ابان الاحتلال الألمانى لها ، ولكنهم ظلوا يعيشون فى وارسو طيلة الوقت . ثم خرجوا من اماكن اختفائهم الى حيث يوجدون الآن وهو لا يعتقد انهم من العباقرة ، فقد تضم حكومة لندن رجالا اكثر منهم ذكاء ولكن الشعب لا يحبهم ، لأنه لم يرهم معه يحتملون معه آلام الاحتلال الألمانى ، فى الوقت الذى كان يرى فيه أعضاء الحكومة المؤقتة ، ولكنه كان يتساءل : اين هم رجال حكومة لندن ؟ ولا ريب فى أن هذه المشاعر ، حطمت نفوذ حكومة لندن ، وكانت السبب فى أن يتمتع رجال الحكومة المؤقتة بمثل هذه الشعبية العظيمة مع انهم ليسوا من الرجال العظام ، واضاف يقول :

كما انه ليس فى وسعنا ان ننسى كل هذه الامور ، اذا اردنا حقا تفهم المشاعر الصادقة للشعب البولندى ، وقال ان المستر تشرشل يخشى ان ينفض المؤتمر قبل الوصول الى اتفاق ، فماذا يمكن أن نفعل ياترى ؟ فالحكومات المختلفة تملك معلومات متباينة ، وتبنى على هذه المعلومات استنتاجات متفاوتة ، ولعل أول مايجب أن نفعله ، هو أن ندعو البولنديين من مختلف المعسكرات والفئات ، وان نستمع الى ما يقولونه وقد حان الوقت الذى فيه يصبح فى الامكان اجراء الانتخابات والى أن يتم ذلك فعلينا ان نتعامل مع الحكومة المؤقتة ، كما تعاملنا مع حكومة الجنرال ديجول فى فرنسا ، وهى حكومة لم تنتخب أيضا ، وهو لا يستطيع أن يحدد ما اذا كان بيروت يتمتع بشعبية أكثر من ديجول أو أن ديجول يتمتع بشعبية اكثر منه ، ولذا فلم لا نفعل الشىء نفسه مع بيروت كما فعلنا مع ديجول وان نعقد معه معاهدة مماثلة لتلك التى عقدناها مع الجنرال ؟ ولا ريب فى ان اية حكومة تعمل فى

بولندا ، لن تكون أقل ديموقراطية من حكومة ديجول ، واذا ماعالجنا الموضوع بدون اهواء وميول امكننا الوصول الى اتفاق مشترك . فالوضع ليس على النحو الذى صوره المستر تشرشل من الأسى ، وفي الامكان حل القضية ، اذا لم نعلق كبير اهمية على القضايا الثانوية وركزنا اهتمامنا على القضايا الجوهرية .

وتساءل الرئيس روزفلت : ترى متى يصبح فى الامكان اجراء انتخابات ؟

فقال ستالين : فى بحر شهر ، الا اذا وقعت كارثة فى الجبهة ، وهو أمر بعيد الاحتمال .

ووافقت على ان مثل هذا القول يزيل قلقنا ، وفى وسعنا ان نؤيد من صميم قلوبنا حكومة تنتخب انتخابا حرا ، ولكن يجب الا نطلب شيئا قد يؤدي فى اى حال من الأحوال الى عرقلة العمليات الحربية ، فهى الهدف الأول والأهم ، واذا كان فى الامكان الوقوف على راى الشعب البولندى فى مثل هذا الوقت القصير او حتى فى بحر شهرين ، فان الوضع يختلف آن ذاك كل الاختلاف ولن يكون فى وسع أى انسان الاعتراض عليه .

وعندما عدنا للاجتماع فى اليوم التاسع من فبراير عام ١٩٤٥ ، تقدم مولوتوف باقتراح جديد : وهو ان يعاد تشكيل حكومة لوبلين — بدلا من «توسيعها» — على أسس ديموقراطية اكثر شمولا ، بحيث تضم زعماء ديموقراطيين من الذين يعيشون داخل بولندا نفسها أو فى خارجها وسيتشاور هو مع السفير البريطانى والأمريكى فى موسكو فى الطريقة التى يتم بها تحقيق ذلك ، ومتى اعيد تنظيم حكومة لوبلين فستتعهد باجراء انتخابات حرة فى أسرع وقت ممكن ، وسنعترف بأية حكومة تنبثق عن تلك الانتخابات .

وقد قلت ان اقتراح مولوتوف لا بأس به ، ولكننى أرى من واجبى أن أوجه انذارا عاما ، وهو انه من حيث ان هناك جوا من الاتفاق ، فانى اشعر انه ليس فى امكاننا أن نسمح للعجلة بالتدخل فى تسوية مثل هذه القضايا المهمة ، وان نضيع ثمار مؤتمرنا ، لعدم رغبتنا فى مد مؤتمرنا أربعا وعشرين ساعة أخرى ، ويجب ألا نرتجل قراراتنا ارتجالا ، وقد تكون هذه الايام من أهم الايام فى حياتنا .

هذا وقد اعلن المستر روزفلت ، ان الخلافات بيننا وبين الروس اصبحت شكليات ليس الا ، وأكد انه يهمه كما يهمنى جدا أن تكون الانتخابات حرة ونزيهة حقا ، وقلت لستالين : اننا نشعر بنقص معيب فى معرفة حقيقة ما يدور فى داخل بولندا ، ومع ذلك يطلب الينا أن نتخذ قرارات خطيرة تتناول مسئوليات ضخمة ، فقد كنت اعرف مثلا ان هناك شعورا بالمرارة والألم بين البولنديين ، لما قيل لى ان حكومة لوبلين قد اعلنت بصراحة عن عزمها على محاكمة جميع أفراد الجيش البولندى الداخلى وحركة المقاومة السرية كخونة ، ولو أنى أولى قضية سلامة الجيش الأحمر المقام الأول من اهتمامى ، الا أننى أرجو من ستالين

ان يدرس الصعوبة التي نواجهها ، فالحكومة البريطانية لا تدرك حقيقة ما يدور في بولندا ، الا عن طريق القاء بعض الرجال البواسل بالمظلات ، وخروج بعض أعضاء حركةالمقاومة الداخلية، واكدت له انه ليستلدينا وسائل أخرى للمعرفة ، واننا لا نود الحصـــــول على معلومات بهذه الطريقة ، فهل يمكن اصلاح هذا الموضوع دون عرقلة حركات القـوات السوفييتية ؟ وهل يمكن منح تسهيلات للبريطانيين والامريكيين ليروا بانفسهم كيف تسوى المنازعات البولندية ؟

وقد ذكر تيتو انه عند ما تجرى الانتخابات في يوغوسلافيا فلن يعارض في حضور المراقبين الروس والبريطانيين والأمريكيين ، لينقلوا الى العالم بشكل غير متحيز أن هذه الانتخابات قد جرت بصورة عادلة ونزيهة .

اما بالنســـــبة لليونان ، فان حكومة جلالته لتعهد بأن ترحب ترحيبا حـــــارا بمجيء المراقبين الأمريكيين والبريطانيين والروسيين ليتحققوا من ان الانتخابات ستتم كما يشتهي الشعب ، وهذا ينطبق ايضا على ايطاليا ، ومن المستحيل ان يبالغ المرء في تقدير اهمية اجراء الانتخابات بصـورة نزيهة ، فمثلا : هل يستطيع ميكولاجيك أن يعود الى بولندا ، لينظم حزبه قبل الانتخابات ؟

فقال ستالين :هذا موضوع يدرسه السفراء معالمسيو مولوتوف عندما يجتمعون بالبولنديين .

فقلت : انه يجب أن أتمكن من ابلاغ مجلس العموم أن الانتخابات ستكون حرة ، وانه ستكون هناك ضمانات فعالة ، بأنها ستجرى في جو من الحرية والنزاهة .

واشــــار ستالين : الى ان ميكولاجيك يمت الى حزب الفلاحين ، ولما لم يكن هذا الحزب من الأحزاب الفاشية ، فسيسمح له بالاشتراك فيالانتخابات والتقدم بمرشحيه ، وقلت : ان هذا الأمر سيتأكد أكثر واكثر اذا كان حزب الفلاحين ممثلا في الحـــكومة البولندية ، ووافق ستالين على وجوب ضم أحد ممثلي الحزب الى الحكومة ، واضفت بانني أرجو الا يكون في اي شيء قلته ما يدعو الى الاساءة .

ورد ستالين قائلا : يجب أن نسمع ما سيقوله البولنديون على اي حال ، وأوضحت أنني أرغب في ان أحمل البرلمان على قبول موضوع الحدود الشرقية ، وانا اعتقد ،ان البرلمان قد يتساهل فيهذا الموضوع اذا اقتنع بأن البولنديين قد تمكنوا من أن يقرروا لأنفسهم ما يريدونه حقا .

فرد ستالين قائلا : ان بينهم عددا لا بأس به من الناس الطيبين، وهم محاربون من خيرة الجنود ، وظهر بينهم عدد لا بأس به من العلماء والموسيقيين ولكنهم شعب مشاكس بطبعه .

فقلت : ان كل ما اريده ، هو أن يتمكن جميع الأفراد من اسماع كلمتهم .

وقال الرئيس : يجب أن تكون الانتخابات فوق مستوى النقد ، وكل ما أريده هو نوع من التأكيد أستطيع أن أقدمه الى العالم ، ولا أريد أن يشك أى انسان فى العالم فى نزاهة هذه الانتخابات ، والمسألة مسألة مبدأ .

واقترح المسيو ستيتينوس ، أن نكتب تعهدا خطيا بأن يؤكد السفراء الثلاثة فى وارسو ، بناء على ملاحظاتهم ، أن الانتخابات جرت حقا فى جو من الحرية والحيدة ، فقال مولوتوف : اننى أخشى أننا اذا قمنا بذلك ، حملنا البولنديين على الشعور بأننا لا نثق فيهم ، وأرى من الخير ان نبحث هذا الموضوع معهم .

ولم أقتنع بهذا ، وقررت اثارة الموضوع مع ستالين فى وقت آخر ، وقد حانت الفرصة فى اليوم التالى ، عندما قابلته ومعى المستر ايدن بحضور مولوتوف ، وشرحت له من جديد ، ما نحس به من صعوبة لعدم وجود من يمثلنا فى بولندا ، لكى يتمكن من ان ينقل الينا مايدور هناك ، وقلت : ان هناك احتمالين اما أن نبعث سفيرا مع عدد من موظفى السفارة ، أو نبعث بلفيف من المراسلين الصحفيين ، ولم يكن راغبا فى ارسال الصحفيين .

وقد قلت له : أننى سأسأل فى البرلمان عن حكومة لوبلين ، وعن الانتخابات وان من الواجب أن أعرف ما هناك لأتمكن من الرد .

وقد قال ستالين : بعد الاعتراف بالحكومة البولندية الجديدة سيكون فى وسعكم ارسال سفير الى وارسو .

فعدت أسأله : وهل سيكون حرا فى التنقل داخل البلاد ؟

فقال ستالين ، أما من ناحية الجيش الأحمر ، فلن يكون هناك تدخل منه وأعدك بأننى سأصدر التعليمات اللازمة ، ولكن عليك أن تقوم بترتيباتك الخاصة مع الحكومة البولندية .

ولذلك فقد قررنا اضافة الفقرة التالية الى اعلاننا :

« وعلى ضوء ماتقدم ، فسينطوى الاعتراف على تبادل السفراء لكى تستطيع الحكومات المعنيات على ضوء تقاريرهم ، ان تعرف حقيقة الوضع فى بولندا » .

وكان هذا هو ما أمكن الحصول عليه .

وهكذا ، انتهت زيارتنا للقرم فى اليوم الحادى عشر من فبراير الا أنه قد ظلت عدة قضايا خطيرة ـ كما هو المألوف فى مثل هذه المؤتمرات ـ دون حل ، وقد وضع البيان الذى أصدرناه عن بولندا سياسة فى خطوط عريضة ،لو قدر لها أن تتبع باخلاص وولاء وصدق لأدت غرضها حقا حتى يحين موعد مؤتمر الصلح العام .

ولما كان الرئيس يود العودة الى بلاده ، وان يمر فى طريقه « بمصر » لكى يبحث مع سفرائه مختلف قضايا الشرق

الأوسط ، فقد وقعنا الوثائق النهائية والبلاغات الرسمية في أثناء فترة الغداء ٠

وقد رأيت من واجبى أن أزور أثينا ، لاطلع بنفسى على حقيقة الوضع فى اليونان بعد الاضطرابات الاخيرة ، فتوجهت ومن معى الى مطار ساكى ، فى صباح اليوم الرابع عشر من فبراير ، وركبنا منه الطائرة الى أثينا ، وكان فى استقبالنا فى المطار السفير البريطاني المستر ليبر والجنرال سكوبى ، واستقبلنا بحماس كبير ، وعند ما وصلنا الى ساحة الدستور ألقيت خطبة قصيرة فى الجماهير ، وفى صباح اليوم التالى أخذنا الطائرة الى مصر ٠

وفي هذا الوقت كان الطراد الأمريكى « كوينسى » قد وصل الى الإسكندرية وعلى ظهره الرئيس روزفلت ، فتوجهت الى حيث يوجد الطراد ، لمقابلته ، وكان معى ابنتي سارة وابني راندولف ، وقد وجدت الرئيس فى حالة ضعف واعياء ، فما أن أشعرني بأنه على وشك مفارقة الحياة ، حتى ودعته وداعا حارا عند ابحاره الى أمريكا ظهر اليوم ، كما طرت فى اليوم التاسع عشر من فبراير الى لندن ٠

وقد طلبت الى مجلس العموم عندما انعقد فى السابع والعشرين من فبراير ان يوافق على نتائج مؤتمر القرم ، فوافق عليها بالأغلبية ٠

وكان ثمة شعور من الأسى ، قد ملأ قلبى ، مخافة ان نضطر الى مواجهة احتمال استعباد شعب بطل ، وقد خالج هذا الشعور نحو ثلاثين نائبا آخرين حتى ان بعضهم قد عارض الاقتراح ٠

وأود أن أوجه نظر هؤلاء الذين تقع على عواتقهم مهمة معالجة الاحداث فى أوقات الحروب والازمات ، ألا يحصروا أنفسهم فى البيانات المجردة ، ذات الطابع الذى يتناول المبادىء العامة التى يتفق عليها جميع الناس الطيبين ، وعليهم أن يتخذوا قرارات محدودة وواضحة من يوم لآخر ، وأن يحافظوا على تنفيذها بصلابة واصرار ، والا فمن الصعب المحافظة على الاتحاد ٠

وقد يكون من السهل بعد أن يهزم الالمان ، أن نحمل على أولئك الذين بذلوا كل مالديهم من جهد لتقوية مجهود روسيا الحربى وخصوصا الولايات المتحدة التى وقع عليها العبء الاكبر من التضحيات ، وماذا كان يحدث لو اختلفنا مع الروس فى الوقت الذى كان لدى الالمان فيه ثلثمائة فرقة فى جبهات القتال ، ان آمالنا كانت ستتحطم حتما ٠

«عبور الراين»

قرر الالمانيون ، على الرغم من الهزيمة التى لحقت بهم فى الاروين ، أن يخوضوا معركة جديدة الى الغرب من الراين ، بدلا من الانسحاب عبر النهر ، ليستجمعوا قواتهم ، ويلتقطوا أنفاسهم ، ولذلك فقد خاض المارشال مونتجمرى معركة طويلة وشاقة طوال شهر فبراير ومعظم شهر مارس ، لان الخطوط الدفاعية الالمانية كانت قوية وقد أصروا على الدفاع عنها بعناد ، وقد كانت الارض موحلة بسبب فيضان نهرى الراين والموز ، ولما كان الالمانيون ؛ قد حطموا فتحات السدود الكبيرة المقامة على الروهر ، فقد أصبح النهر غير صالح للعبور ، واستمر الحال كذلك حتى نهاية شهر فبراير ، ومع ذلك فقد تراجعت ثمانى عشرة فرقة المانية الى ماوراء النهر فى اليوم العاشر من مارس ، مما مكن الجنرال برادلى من تطهير الارض الممتدة ثمانين ميلا والواقعة بين دسلدورف وكوبليتز بعد حملة سريعة وقصيرة .

وفى السابع من الشهر واتت الحلفاء فرصة سانحة ، فسارعوا الى اغتنامها ، فقد وجدت الفرقة المدرعة التاسعة التابعة للجيش الامريكى جسر السكة الحديد فى ريماجن مدمرا جزئيا ولكنه ما زال صالحا للاستعمال ، فاندفع قائد الفرقة بطلائعه فوق الجسر وتبعته القوات الاخرى ، ولم يمر وقت طويل حتى كانت أربع فرق قد عبرت النهر وأقامت لها رأس جسر يمتد عدة أميال ، ولم يكن هذا الاندفاع جزءا من خطة ايزنهاور ، ولكنه برهن على أنه عامل مساعد ممتاز ، مما اضطر الالمان الى تحويل قوات مهمة الى الشمال لصد الاندفاع الامريكى وتمكن باتون من قطع خطوط العدو حول تريير وتحطيمها ، وبذلك تم تطويق المدافعين عن خط سيجفريد المخيف ، ولم تمض بضعة أيام حتى توقفت كل مقاومة منظمة للعدو فى هذه الناحية .

وكنتيجة فرعية لهذا الانتصار ، قامت الفرقة الامريكية الخامسة بعبور نهر الراين على بعد خمسة عشر ميلا الى الجنوب من ماتينز .

وبعد معارك مستمرة دامت ستة أسابيع على جبهة طولها مائتان وخمسون ميلا ، اضطر العدو الى الانسحاب الى ما وراء الراين ، بعد أن منى بخسائر لايستطيع تعويضها فى الرجال والعتاد ، هذا وقد لعبت قوات الحلفاء الجوية دورا بارز الاهمية فى هزيمة العدو ، وانزال الفوضى بقواته ، ووقتها تدخل سلاح الجو الالمانى المنهار ، كما كانت الغارات المستمرة التى تشنها قاذفاتنا الثقيلة ؛ سببا فى انقاص انتاج الزيت عند الالمان الى درجة كبيرة ، وفى تخريب مصانعه ومواصلاته ، بحيث أرغمتها تقريبا على التوقف .

وقد رغبت في أن أشهد مع جيوشنا عبور الراين ، وأخذت معي سكرتيري جوك كولفيل ومرافقي البحري تومي ، وطرنا الى مقر القيادة البريطانية ؛ على مقربة من فيناو ، وانتقلنا بعد ذلك الى عربة خرائط مونتجمري واطلعت على جميع الخرائط التي أعدتها مجموعة منتقاة من الضباط ، أوضحوا فيها جميع الخطط المتعلقة بهجومنا وتوزيع قواتنا ، وكان علينا أن نشق طريقا لنا عبر النهر في عشر نقاط على جبهة تمتد عشرين ميلا من رينسبرج الى ريس ، وتقرر أن نستخدم جميع مواردنا ، حيث يوجد ثمانون ألف جندي يؤلفون مقدمة جيوش يبلغ تعداد رجالها مليونا على الاقل ، كما كان يوجد حشد كبير من القوارب والعوامات على أهبة الاستعداد ، وفي الوقت نفسه كان يقف الجنود الالمان على الطرف الثاني من النهر داخل خنادقهم ، وقد انتظموا وتسلحوا بأحدث معدات الحرب والقوة النازية ٠

وكنت طبقاً لدراساتي أو لاختباراتي في الحروب ، أشك في أن يصبح أي نهر حاجزا طبيعيا للدفاع ضد عدو متفوق ، ولهذا فقد كنت أعلق آمالا ضخمة على المعركة ، حتى قبل أن يشرح لي الماريشال الخطط التي وضعت لها ، يضاف الى ذلك أننا أصبحنا لنا السيادة المطلقة في الجو ٠

هذا وقد أراد القائد العام أن يوضح لي بصورة خاصة طريقة انزال فرقتين محمولتين في الجو تضمان نحوا من أربعة عشر الف رجل مع مدافعهم ومعدات الهجوم ، وراء خطوط العدو ، وكان قد أعد لي مكانا فوق رابية لكي أراقب فيه من الصباح حركات الهبوط من الجو ، وعند الضحى سمعنا هدير الطائرات الهائل فوق رءوسنا ورأينا أسرابها تندفع من الأفق ، وتعود بعد أن تتم قصف مواقع العدو ، الا أنني شعرت بالأسى عند ما رأيت الطائرات في أثناء عودتها وبعضها يتصاعد منه الدخان والبعض الآخر ينبعث منه اللهب ، كما رأيت أيضا في هذه اللحظة بقعا صغيرة تندفع عائمة نحو الارض ، مما سبب لي ألما قاسيا جدا ٠

ثم أخذت أطوف بالسيارة في جولة طويلة من نقطة الى أخرى مارا بمختلف قيادات الفيالق ، وقد سارت الامور على ما يرام طوال ذلك اليوم ، وتركزت الفرق الأربع المهاجمة وهي الفرقتان الخامسة عشرة والحادية والخمسون البريطانيتان والفرقتان «الثلاثون والتاسعة والسبعون الامريكيتان» تركزت عبر النهر وأقامت رءوس جسور بجوار النهر تمتد خمسة آلاف ياردة ، كما كان ضرب أسلحة الحلفاء الجوية الذي لايفوقه في العنف الا ماحدث يوم الغزو في نورمانديا ، يشمل أيضا القوات الجوية الاستراتيجية العاملة من بريطانيا والقاذفات الثقيلة العاملة من ايطاليا ، والتي توغلت الى مسافات بعيدة في ألمانيا ٠

وعندما عدنا في المساء الى عربة الخرائط ، اتيحت لي فرصة رؤية أساليب مونتجمري في ادارة دفة المعركة ، حيث رأيت سلسلة متعاقبة من الضباط الشبان لايتجاوز اعلاهم مرتبة الرائد ، يتوافدون واحدا بعد

الآخر مدة ساعتين ، وقد عاد كل منهم من إحد قطاعات الجبهة ، وهؤلاء الضباط هم الممثلون الشخصيون المباشرون للقائد العام ، وفي وسعهم أن يذهبوا الى أية جهة يريدونها ، وان يوجهوا أى سؤال الى القادة فى الاماكن التى يذهبون اليها كما يبلغونهم أوامر القائد العام ، وعندما قدم كل منهم تقريره واجاب على أسئلة القائد العام الكثيرة والدقيقة والشديدة الاهتمام بكل شىء ، اتضحت القصة الكاملة لمعركة اليوم ، وكانت هـذه خير طريقة للتثبت من الوقائع التى تسردها التقارير الواردة من مختلف القيادات والقادة ، والتى عهد الى الجنرال دى جوينجاند رئيس أركــان حرب مونتجمرى بقراءتها وفحصها ، واعتقد أن هذا النظام مفيد جدا ، وانه الوسيلة التى يستطيع القائد العصرى بوساطتها أن يرى وان يقرأ ما يقع فى كل جزء من أجزاء الجبهة ٠

وقد ذهبنا فى اليوم التالى الموافق الخامس والعشرين من مــارس لمقابلة ايزنهاور ، واجتمعنا به ، وكان معه حشد من القادة الامريكيين ؛ وبعد أن تحدثنا فى مختلف الشئون ؛ قال ايزنهاور ان هناك بيتا على الطرف الذى نقف عليه من الراين ، وهو يبعد نحو عشرة أميال من هنا ، ويمكن مشاهدة النهر والضفة الثانية منه بصورة واضحة ، واقترح ان نذهب الى ذلك البيت ، وقد وجدنا على مقربة من ضفتنا قاربا بخاريا صغيرا ، فقلت لمونتجمرى دعنا نعبر به النهر لنلقى نظرة على الضــفة الأخرى ، فوافق ، وبعد أن قام ببعض التحريات شرعنا فى عبور النهر ومعنا أربعة من القادة الامريكيين وستة من الجنود المسلحين ، ونزلنا بمنتهى الهدوء على الجانب الالمانى وسرنا هناك على الضفة نحوا من نصف ساعة دون أن يزعجنا أحد ٠

وعندما عدنا طلب مونتى ، أن نذهب الى الجسر الحــديدى فى ويل لنرى بأنفسنا ما يجرى هناك ، فركبنا سيارة الى هناك حيث كان الالمان يردون على نيراننا بقذائف كانت تتساقط فى مجموعات أربع على بعــد نحو ميل منا ، كما سقطت عدة قذائف أخرى بين السيارات التى كانت خلفنا ، ولهذا فقد تقرر أن نبتعد عن هذا المكان ، وقد عدنا الى مقـــر القيادة ثانيا ٠

هذا ؛ وقد واصلت جيوشنا تقدمها ؛ وفى ختام الشهر ، كنا قد استولينا على مسطح كبير يمتد الى الشرق من نهر الراين ، استطعنا منه أن نشن عملياتنا الرئيسية الى داخل المانيا الشمالية ، أما فى الجنوب فان الجيوش الأمريكية على الرغم من مواجهتها مقاومة جدية الا انهـــا تقدمت تقدما عظيما ، بفضل شجاعتها ، كما تم عبور الراين فى أماكن أخرى الى الجنوب من كوبليتر وعند وورمز ، ووصل الجــيش الامريكى الثالث فى التاسع والعشرين من مارس الى فرانكفورت ، وتم تطويـــق حوض الروهر وحماته الذين يبلغ تعدادهم ثلثمائة وخمسة وعشرين الفا ، وبذلك فقد انهارت جبهة المانيا الغربية بأكملها ٠

وعلى هذا الاساس ، فقد استعلمت عن الخطة الاستراتيجية التى

أعدتها قيادة الحلفاء العليا لتقدم الجيوش الانجلو - أمريكية ، وأبرق الى الجنرال ايزنهاور يقول : -

... اقترح أن نزحف شرقا ، لنلتقي مع الروس ، أو لنقيم خطا عاما على نهر الألب ،وأرى أن هذا يتوقف على رأى الروس ، وان محور كاسيل - لايبزج ، هو خير مكان للزحف ، اذ سيضمن اجتياح تلك المنطقة الصناعية الهامة ، التى يعتقد بأن الوزراء الالمان قد انتقلوا اليها ، كما انه سيشطر القوات الالمانية شطرين ، ولن يقحمنا فى مشكلة عبور نهر الالب ، وان هذه الخطة تستهدف تجزئة ما تبقى للعدو من قوات رئيسية فى الغرب وتحطيمها •

هذا هو الاتجاه الاساسى لزحفنا ، واذا لم يتضح لنا ان تركيزجميع جهودنا على هذا الاتجاه ، لم يعد ضروريا ؛ فاننى على استعداد لان أوجه جميع قواتى لاضمن نجاح هذا الهدف •

وعندما نتأكد من نجاح الاندفاع الرئيسى ، فاننى أقترح القيام بتطهير الموانى الشمالية ، وهى عملية تساعد على عبور نهر الالب من ناحية كييل ، وسيكون مونتجمرى مسئولا عن هذه العمليات ، وانا اعتزم زيادة القوات العاملة تحت امرته اذا رأيت ذلك ضروريا لاداء العمل المطلوب منه •

وعلمت أيضا ، أن ايزنهاور ، قد اعلن سياسته هذه فى برقية مباشرة بعث بها الى ستالين فى الثامن والعشرين من مارس ؛ أخبره فيها، انه بعد عزل نهر الروهر،سيندفع مباشرة على محور ويرفورت - لايبزيج - دريسدن ، ليلتقى بالجيوش الروسية ، وليشطر ما تبقى من قوات المانيا ؛ وسيقوم بتقدم فرعى آخر عبر ريفينسبرج الى ليتر ، حيث يتوقع أيضا الالتقاء بالجيوش الروسية وليحول دون تركيز المقاومة الالمانية فى الكمائن الموجودة فى جنوبى المانيا •

وقد وافق ستالين فى الحال على اقتراحات ايزنهاور ، وقال بأنها تتفق تمام الاتفاق مع الخطة التى وضعتها القيادة العليا السوفييتية ، واضاف ستالين يقول :

أما برلين فقد فقدت قيمتها الاستراتيجية السابقة ، ولهذا فان القيادة العليا السوفييتية تعتزم تحويل قوات ثانوية فى اتجاه برلين ، ولكن الأحداث التالية كانت تتعارض تماما مع هذا البيان •

ولما كان هذا الموضوع مهما للغاية فقد ابرقت الى الرئيس فى أول ابريل أقول : -

من الواضح أنه اذا نحينا جانبا كل عائق ، وتجاهلنا كل انحراف ، فان الواجب يقضى على جيوش الحلفاء فى الشمال والوسط ، ان تتجه الآن وبأقصى سرعة ممكنة نحو نهر الألب ، وهنا يكون المحور مرتكزا على برلين ، أما الجنرال ايزنهاور ، فبالنسبة الى تقديراته لمقاومة العدو والتى أعلق عليها بدورى أهمية عظمى ، يود الآن أن يوجه المحور نحو

الجنوب ليضرب في اتجاه لايبزيج ، وحتى في اتجاه دريسون في الجنوب البعيد ، وانني لاقول بمنتهى الصراحة ، ان برلين مازالت على جانب كبير من الأهمية الاستراتيجية ، فلا شيء يمكن أن يؤدى الى التأثير نفسيا والايحاء باليأس لجميع قوات المقاومة الالمانية من سقوط برلين نفسها ، انها ستكون الدليل الاكبر على الهزيمة بالنسبة الى الشعب الألمانى ، أما اذا تركت منفردة ليحاصر الروس ما تبقى من حطامها ، وليظل العلم الالمانى خفاقا فوقها ، فانها ستبعث المقاومة والحيوية عند جميع الالمان الذين يحملون السلاح ٠

وهناك أيضا ناحية أخرى ، أرى من الجدير بنا ، ان نجعلها موضع الاعتبار ؛ فلا ريب أن الجيوش الروسية ستجتاح جميع أراضى النمسا ، وتدخل الى فيينا ، واذا كانوا هم الذين سيدخلون الى برلين أيضا ، أفلا يؤدى ذلك الى أن الانطباع الذى يحملونه بأنهم هم الذين اسهموا اسهاما أكبر فى نصرنا المشترك ؛ سيتركز فى عقولهم بشكل لا ضرورة له ، كما يؤدى هذا أيضا الى قيام حالة فكرية لديهم تثير لنا الكثير من المتاعب الخطيرة والقاسية فى المستقبل ، ولهذا فانى أرى من الناحية السياسية أن علينا ان نسرع بالزحف شرقا الى المانيا بأقصى سرعة ،حتى اذا وقعت برلين فى قبضتنا فاننا نستولى عليها ، ويبدو لى أن هذا الرأى سليم من الناحية العسكرية أيضا ٠

ولكن حالة الرئيس الصحية ، كانت فى هذا الوقت ؛ قد ساءت الى الحد الذى أصبح فيه ، الجنرال مارشال ، هو الذى يعالج هذه القضايا الخطيرة ، وان كنت لم أكن أعرف هذه الحقيقة ، وقد رد المسئولون فى الولايات المتحدة بما معناه ، ان خطة ايزنهاور تبدو متفقة مع الاستراتيجية المتفق عليها ومع توجيهات واشنطن ، فقد كان يوزع عبر الراين فى الشمال أقصى مايمكن استخدامه من قوات ٠ أما المجهود الثانوى الى الجنوب ، فقد كان يحقق نجاحا بارزا ، ويجرى استغلاله بقدر ما تسمح به ظروف التموين ، كما أنهم على ثقة من أن عمل القائد الأعلى ، سيضمن الموانى وكل ما ذكره البريطانيون بصورة أكثر حسما من الخطة التى يقترحها البريطانيون ٠

وقالوا ان معركة المانيا قد وصلت الى الحد الذى يجب أن يترك فيه الى قائد الميدان ، الحكم على الاجراءات التى يجب عليه أن يتخذها ، وأن يقرر بنفسه هذه الاجراءات ، وليس من الحكمة فى شيء أن نبعد أنظاره بصورة متعمدة عن استغلال ما يبدو على العدو من ضعف ،فالهدف الوحيد يجب أن يكون النصر السريع الكامل ، وعلى الرغم من أن واشنطن تدرك وجود عوامل لا تعنى القائد العام مباشرة ، الا أنهم يرون أن مفاهيمه الاستراتيجية سليمة كل السلامة ٠

كما أكد لى ايزنهاور نفسه ، انه غير غافل مطلقا عن الأهمية العظمى فى الزحف نحو الساحل الشمالى ، على الرغم من أن برقيتك التى أرسلتها الى والتى ترغبون فيها تحقيق أهداف ذات أهمية عظمى بالنسبة للسياسة

العامة ، وانى لأرى النقطة التى أشرت اليها فى هذا الصدد بكل وضوح . كما انه لكى أضمن نجاح مجهود من المجهودات التى خططت لها ، فاننى اركز جهودى أولا على الوسط ، لأحصل على الوضع الذى أحتاج اليه ، وارى كما يبدو لى الان ، أن الخطوة التالية التى يجب أن نقوم بها ، هى أن نسمح لمونتجمرى بعبور نهر الألب ، وأن نعزز قواته بما نقضى به الضرورة من قوات امريكية ليصل الى خط يضم لوبيك على الشاطىء ، واذا كانت المقاومة الالمانية من الآن فصاعدا ، ستنهار حتما ، ففى وسعك الا ترى فرقا كبيرا فى الزمن ؛ بين ما أراه من كسب موضع فى الوسط ، وما تراه أنت من عبور نهر الالب ، أما اذا كانت المقاومة الالمانية ستستمر ، فاننى أرى من الضرورى جدا ؛ أن أركز كل مجهود على حدة ؛ والا أسمح لنفسى بالتشتت والضياع فى محاولة القيام بجميع المشروعات فى وقت واحد .

ومن الطبيعى ، أنه اذا وقع الانهيار فجأة فى أية لحظة وفى كل مكان من الجبهة فسنندفع الى الأمام بسرعة وستكون لوبيك وبرلين بين أهدافنا المهمة .

وبعد أن شكرته قلت له اننى لا أزال أعلق أهمية كبرى على دخول برلين وهى كما يبدو من رد موسكو ، مفتوحة أمامنا ، اذ قالت فى البرقية ، ان برلين قد فقدت أهميتها الاستراتيجية السابقة ، واننى أرى من الاهمية بمكان عظيم أن نلتقى بالروس فى ابعد نقطة الى الشرق ، مهما كانت الاسباب ، اذ قد تحدث أشياء كثيرة فى الغرب قبل أن يبدأ ستالين هجومه الرئيسى .

ورأيت من واجبى أن أنهى هذا النقاش ، وان أسجل اعتقادى بأنه لابد أن تكون قد تغلبت على واشنطن أراء أطول مدى وأوسع أفقا كما أنه من الحق أن يقال ان التفكير الامريكى ، لا يهتم مطلقا بالقضايا التى تبدو ذات علاقة بالتوسع الاقليمى ، وقد اتضح لى أن نقاط الخلاف بيننا لم تكن كبيرة الاهمية بالنسبة الى قادة الولايات المتحدة ، ولكن هذه النقاط قد لعبت دورا مسيطرا فى مصير أوروبا .

وفى وسعنا الآن أن نرى الفجوة المخيفة التى قامت بين اضمحلال قوة الرئيس روزفلت ، ونمو قوة الرئيس ترومان وسيطرته على المشكلات العالمية ، ففى هذا الفراغ المحزن ، لم يكن فى وسع رئيس فى طريق الرحيل عن الحياة أن يعمل ، ولا فى وسع رئيس جديد أن يعرف ، ولم يكن القادة العسكريون ؛ ولا رجال وزارة الخارجية يتلقون التوجيه الذى يحتاجون اليه ، فالأوائل حصروا أنفسهم فى مجالاتهم المهنية ؛ والآخرون لم يفهموا القضايا الخطيرة التى تنطوى عليها الاحتمالات ، وهكذا فقد التوجيه السياسى الذى لا مندوحة عنه ، فى اللحظة التى كان الجميع فى أشد الحاجة اليه ؛ ووقفت الولايات المتحدة على مسرح النصر مسيطرة على مصير العالم ، دون أن يكون لها تصميم صادق أو منسجم ، أما بريطانيا فعلى الرغم من قوتها الكبيرة جدا ،

فقد كانت عاجزة عن تقرير الامن بشكل حاسم وحدها ؛ ولم يكن فى وسعى فى هذه المرحلة أن أفعل غير التحذير والرجاء .

وهكذا فقد أصبحت هذه الذروة من النجاح الظاهرى الذى لا حدود له من أكثر اللحظات ألما وشـــقاء على نفسى ، وكنت أسير بين الحشود الهاتفة أو أجلس الى المائدة التى ازدانت برســائل التهانى والتبريك ، وقلبى ينصهر بالالم كما كان عقلى واقعــا تحت كابوس من المخاوف والقلق .

فلقد جاء تحطيم القوة العسكرية الألمانية معه بتبدل جوهرى فى العلاقات بين روسيا الشيــوعية والديموقراطيات الغربية ، فبعد أن تحطم عدوهما المشترك ، الذى كان هو الرباط الوحيد الذى يشدهما ويوحد بينهما ، بدأت الاستعمارية الروسية والعقيدة الشيوعية فى فرض سيطرتهما المطلقة التى لا تحدها قيود .

وما كنت لأكتب هذه القصة الآن ، بعد أن اتضح كل شىء فى ضوء النهار الساطع ، لو لم أكن آن ذاك أعرف كل شىء ، وأحس بكل شىء عندما كان كل ما حولنا غامضا ؛ وكان النصر الذى حققناه ، يضاعف من هذه الظلمة الداخلية فى القضايا الانسانية ، واننى أترك للقــارىء وحده أن يحكم لنا أو علينا .

«الستار الحديدي»

بعد أن مرت عدة أسابيع على مؤتمر يالته ، أتضح لنا أن الحكومة السوفيتية لم تنفذ ما اتفقنا عليه ، حول زيادة عدد رجال الحكومة البولندية ، لتشمل جميع الاحزاب البولندية ، والفريقين المتنازعين ، كما رفض مولوتوف ان يعطى رأيا فى البولنديين الذين ذكرنا أسماءهم ولم يسمح لأى منهم بالمجىء حتى ولا الى مؤتمر تمهيدى على مائدة مستديرة وكان قد عرض علينا ارسال مراقبين الى بولندا ، الا أننا عند ما أبدينا استعدادنا لذلك ، أفزعه قبولهنا العرض السريع ؛ واحتج بأمور عدة، منها ؛ ان هؤلاء المراقبين ؛ قد يقللون من سمعة الحكومة البولندية المؤقتة فى لوبلين ، ولذا فان محادثات موسكو لم تحقق أى تقدم ، وكان الوقت الى جانب الروس وأنصارهم من البولنديين الذين أخذوا يشددون قبضتهم على البلاد بمختلف الوسائل ، والاساليب ، التى لم يكونوا راغبين فى اطلاع العالم الخارجى عليها عن طريق المراقبين .

وفى احدى الامسيات ، عند ما كنت أتحدث فى مجلس العموم عن نتائج جهودنا فى مؤتمر يالته ، وقع أول نقض لاتفاقاتنا فى رومانيا من جانب الروس ، مع أننا كنا قد التزمنا فى الاعلان الذى أصدرناه عن أوروبا المحررة ، والذى وقعناه قبل مدة قريبة ؛ بأن نضمن انتخابات حرة قيام حكومات ديموقراطية فى البلاد التى تحتلها جيوش الحلفاء .

ولكن فيشنسكى الذى وصل الى بوخارست فجأة فى السادس والعشرين من شهر فبراير ، طلب فى اليوم التالى ، مقابلة الملك ميخائيل وأصر على وجوب طرد الحكومة الممثلة لجميع الاحزاب والتى تم تأليفها بعد الانقلاب الملكى فى شهر اغسطس عام ١٩٤٤ والتى قامت بطرد الألمان من رومانيا ، الا أن الملك يؤيده وزير خارجيته فيسويانو أجل هذه الطلبات حتى اليوم التالى ، وعندما قام فيشنسكى بزيارة الملك ثانية رفض طلب الملك السماح له على الاقل باستشارة زعماء الاحزاب السياسية ، وضرب بقبضة يده على المائدة ، وصرخ طالبا الاذعان الفورى ثم خرج من الغرفة بعد أن رد الباب وراءه بعنف ، وفى هذه الأثناء انتشرت القوات السوفيتية بدباباتها فى شوارع العاصمة ، وتولت الحكم الادارة التى اختارها الروس فى السادس من شهر مارس .

وقد أزعجتنى هذه الانباء كل الازعاج ، لانها كانت دليلا على ما يجب أن ننتظره من أحداث ، لكننا لم نستطع الاحتجاج ؛ لاننى كنت قد وافقت أنا والمستر ايدن فى أثناء زيارتنا لموسكو فى شهر ديسمبر الماضى على أن تكون لروسيا الكلمة الأولى فى رومانيا وبلغاريا ، وان

تكون لنا الكلمة الاولى في اليونان ، وكان ستالين قد حافظ باخلاص ودقة على هذا الاتفاق ، طيلة الاسابيع الستة التى دار فيها القتال ضد الشيوعيين وضد جيش التحرير « ايلاس » فى مدينة آثينا ٠

وقد كنت آمل ، بعد أن عاد الهدوء والسلام الآن فى اليونان ، اننا سنتمكن فى الاشهر القليلة القادمة من اجراء انتخابات حرة نزيهة واننا بعد ذلك سنتمكن من ضمان قيام دستور وحكومة طبقا لارادة الشعب اليونانى التى لا تعارض ولا تقاوم ٠

ولكن ستالين كان يسير فى البلدين الآخرين الواقعين على البحر الاسود على سياسة مغايرة تماما لسياستنا ؛ بل ومتعارضة تماما مع كل فكرة ديموقراطية ، وكان قد أقر على الورق مبادىء بالتة، وها هو يدوس عليها بقدمه فى رومانيا ؛ وكنت أخشى اننى اذا ضغطت عليه ، أن يرد على قائلا : « اننى لم أتدخل فى عملكم فى اليونان ، فلماذا لا تعطوننى الفرصة نفسها فى رومانيا » ، كما كنت أخشى بصورة خاصة ، آن تقوم هذه الحكومة بعمليات تطهير عمياء ضد العناصر المعادية للشيوعية فى رومانيا على غرار ما هو متبع الآن فى بلغاريا ٠

وهكذا أخذت السياسة السوفيتية تزداد وضوحا يوما بعد يوم ، كما أخذ يتضح لنا ما تجنيه من فوائد ، عن طريق سيطرتها المطلقة التى لا رقابة عليها ولا اشراف على بولندا ؛ حيث طلب الروس أن تمثل بولندا فى المؤتمر المقبل الذى ستعقده الامم المتحدة فى سان فرانسسكو ، وان يقتصر هذا التمثيل على حكومة لوبلين ، وعندما رفضت الدول الغربية هذا الطلب ؛ رفض السوفييت السماح لمولوتوف بحضور المؤتمر ، وكان هذا التطور يهدد أى تقدم فى سان فرانسسكو بل ويهدد الفكرة نفسها بالفشل ، وقد أصر مولوتوف على ان بلاغ بالتة لا يعدو أن يكون مجرد اضافة عدد صغير آخر من البولنديين الى الحكومة القائمة من « الدمى » الروسية ، واحتفظ فى أن يستعمل « الفيتو » ضد ماجولاجيك ، وضد غيره من البولنديين الذين نقترح أسماءهم ٠

وكان من الواضح أن هذا الاسلوب يرمي الى التسويف والمماطلة فى الوقت الذى تكون فيه لجنة لوبلين ماضية فى تثبيت أقدامها وسلطانها ، ولم تؤد المفاوضات التى قام بها سفراؤنا الى أى أمل فى الوصول الى تسوية بولندية مشرفة ٠

وكنت على ثقة ، من أن خير طريقة لايقاف مولوتوف عند حده ، هى أن أبعث برسالة شخصية الى ستالين ، ولذلك فقد ناشدت الرئيس أن نوجه رسالة مشتركة على أرفع مستوى ، ولكن لسوء الحظ ، كان المرض قد اشتد عليه ، وكان اتجاه وزارة الخارجية منصرفا الى تجنب تأزيم الامور والرئيس فى هذه الحالة من الضعف ؛ والى القاء العبء على السفراء فى الخارج وفى موسكو بالذات ٠ حقا لقد كانت أسابيع باهظة الثمن كلفتنا جميعا الغالى من النتائج ٠

وفى هذه الاثناء كانت تدور بين الحكومتين البريطانية والامريكية

من ناحية وبين السوفيت من ناحية أخرى رسائل أكثر مرارة وأهمية تتناول قضية مختلفه كل الاختلاف عن هذه القضايا ، فقد أدى تقدم الجيوش السوفيتية وانتصارات اليكساندر في ايطاليا ، وفشل الهجوم الالمانى المضاد فى الاردين ، وزحف ايزنهاور على الراين ، الى اقناع جميع الألمان ماعدا هتلر ، وأفراد بطانته الأقربين ، بأن استسلام المانيا أصبح أمرا لا مفر منه ولا مناص ، وكان السؤال الذى يتوارد فى خواطرهم ، ترى لمن يجب أن نستسلم ؟ ولما كان لم يعد فى وسع المانيا أن تخوض حربا فى جبهتين ، كما كان الصلح مع السوفييت أمرا محالا كما هو الظاهر ، فلم يبق أمامهم الا الحلفاء فى الغرب ؛ وكانوا يسائلون أنفسهم ، ألا يمكن والحالة هذه أن نعقد هدنة مع بريطانيا وأمريكا ؟ فلو تمكنوا من عقد هدنة مع الغرب ، فان فى وسعهم أن يركزوا قواتهم لوقف الزحف الروسى ، وكان هتلر وحده الذى يعارض فى ذلك ، حيث قد انتهى الرايخ الثالث ، وعزم على ان يموت معه ؛ وقد حاول عدد من أتباعه اجراء اتصالات سرية مع الحلفاء الغربيين ، ولكن جميع اقتراحاتهم رفضت بالطبع ، وكان شرطنا الوحيد الاستسلام بلا قيد أو شرط فى جميع الجهات ، كما سمح فى الوقت نفسه لقوادنا فى الميدان بصلاحيات مطلقة لقبول أية استسلامات عسكرية من جانب قوات العدو التى تواجههم ، وقد أدت المحاولة الى ترتيب ذلك – فى الوقت الذى كنا لا نزال نحارب فيه على حوض الراين – الى سوء تفاهم بين الروس وبين الرئيس الأمريكى الذى وقفت الى جانبه ·

فقد اتصل الجنرال كارل وولف قائد قوات الحرس الهتلرى فى ايطاليا فى شهر فبراير عن طريق الوسطاء الايطاليين ، بدوائر المخابرات الأمريكية فى سويسرا ، وقرر فحص وثائق اعتماد الاشخاص الذين شملهم الاتصال ، وأعطى للواسطة الاسم الرمزى « الكلمات المتقاطعة» ·

وجاء الجنرال وولف نفسه فى الثامن من مارس الى زيوريخ ، وقابل المستر الن دالس رئيس منظمة المخابرات الأمريكية ، وقد قيل له بحزم وصراحة ، « ان ليس ثمة مجال لأية مفاوضات من أى نوع » وان المضى فى الاتصالات يجب أن يستهدف الاستسلام بلا قيد ولا شرط ، ولا شيء غيره ، وقد نقلت هذه المعلومات بسرعة الى مقر قيادة الحلفاء فى ايطاليا والى الحكومات الأمريكية والبريطانية والسوفييتية ، كما وصل الى سويسرا فى الخامس من مارس رؤساء أركان الحرب البريطانيون والأمريكيون فى سايبسترا بايطاليا ، متنكرين ، وعقدوا بعد أربعة أيام اجتماعا استطلاعيا آخر مع الجنرال وولف ·

وقد أدركت على الفور ، ان شكوك الحكومة السوفييتية قد تثار من جراء استسلام عسكرى منفصل فى الجنوب يمكن جيوشنا من التقدم دون مقاومة الى فينا والى ماوراءها ، وحتى الى نهر الألب وبرلين ويضاف الى هذا ، انه لما كانت جميع الجبهات المحيطة بألمانيا جزءا لا يتجزأ من حرب شاملة ضد المانيا ، فان الروس سيتأثرون بطبيعة الحال ؛ من أى عمل قد يقع فى أية جبهة من هذه الجبهات ·

واذا كنا سنجرى أية اتصالات مع العدو ، رسمية أو غير رسمية، فيجب اطلاعهم عليها قبل حدوثها ، وقد اتبعت هذه القاعدة بصـــورة حتمية ، وأبلغ السفير البريطانى فى موسكو ، الحكومة السوفييتية فى الثانى عشر من شهر مارس ، بنبأ الاتصال الجديد ، والمتوقع حـــدوثه مع الالمانيين ، وأكد لها أن أى اتصال لن يتم قبل وصول الرد الروسى ، وفعلا لم تكن هناك أية محاولة لاخفاء أى شىء عن الروس ، وفى الثالث عشر من مارس أبلغنا الروس ، أنه اذا ثبت ان « الكلمات المتقاطعة »ذات اهمية جدية ، فاننا سنرحب بالمبعوثين الروس فى مقر قيادة اليكساندر، وبعد ثلاثة أيام ، ابلغ مولوتوف السفير البريطانى فى موسكـــو ، أن الحكومة السوفييتية تجدموقف الحكومة البريطانية، « مما لايمكن تفسيره أو فهمه ، بالنسبة لرفضها منح التسهيلات اللازمة للروس لارســـال مبعوثيهم الى بون » ، كما سلمت الحكومة السوفييتية مذكرة مماثلة الى السفير الأمريكى ٠

وصدرت التعليمات الى سفيرنا فى موسكو ، بابلاغ الحكـــــومة السوفييتية ثانية ، ان الغرض الوحيد من الاجتماعات ، كان للتأكـــد من أن الألمان كانوا يملكون الصلاحيات للتفاوض على استسلام عسكرى، وأن النية متجهة الى دعوة المبعوثين الروس للمجىء الى مقر قيادة الحلفاء فى سايبسترا ، وقد نفذ السفير هذه التعليمات ولكن مولوتوف سلمه فى اليوم التالى ردا تضمن الآتى : ــ

« كانت المفاوضات تدور فى بون « خلال أسبوعين ، من وراء ظهر الاتحاد السوفييتى الذى يحمل وحيدا عبء الحرب ضد المانيا ، » بين ممثلين للقيادة العليا الالمانية من ناحية وممثلين للقيادتين الانجليزية والأمريكية من الناحية الأخرى » ٠

وقد أوضح السير ارشيبالد كلارك كير بالطبع ، ان الســـوفييت قد أساءوا فهم ما وقع ، وان هذه المفاوضات لم تكن أكثر من مجـــرد محاولة لاختبار وثائق اعتماد الجنرال وولف وصلاحياته ، ولكن تعليق مولوتوف كان جافا ومهينا ، فقد كتب يقول « اذن ففى مثل هذه الحالة، لاترى الحكومة السوفييتية مجرد سوء تفاهم ، بل ماهو أسوأ من ذلك»، كما حمل على الحكومة الأمريكية بالاسلوب نفسه ٠

ولهذا فقد رأيت من الضرورى اطلاع كل من مونتجمرى وايزنهاور على رسالة مولوتوف ٠ ٠

وقد انزعج الجنرال ايزنهاور انزعاجا شديدا من هذه الرســـالة وبان عليه الغضب من جراء ما اعتبره تهما غير عادلة ولا أساس لها من الصحة ، وقال انه كقائد عسكرى ؛ مستعد لقبول اى استسلام غـــير مشروط من أية مجموعة من قوات العدو فى جبهته ، مهما كان حجـــم هذه المجموعة ، سواء كانت سرية أو جيشا بأكمله وانه يعتبر هـــذا الموضوع قضية عسكرية بحتة ، وان لديه السلطات الكاملة لقبول مثـــل هذا الاستسلام ، دون أن ينتظر معـــرفة رأى أى انسان ، أما اذا ظهرت مسائل سياسية ؛ فانه على استعداد لاستشارة الحكومات المعنية فورا ،

كما اعرب عن خشيته من أن اقحام الروس فى موضوع احتمال استسلام قوات كيسلرنج وهو احتمال يستطيع هو أن يبت فيه بنفسه ، في غضون ساعة ، قد يؤدى الى اطالة امد المحادثات ثلاثة أسابيع أو أربعة، مما لا ينتج عنه الا شيء واحد ، وهو الحاق خسائر فادحة بقواتنا ، وأوضح انه سيصر في حالة وقوع استسلام ، ان تضع جميع القوات العاملة تحت امرة القائد طالب الاستسلام أسلحتها ، وان تقف دون أى عمل الى أن تتلقى أوامر جديدة ، بحيث لاتتاح لها الفرصة ، للانتقال عبر المانيا لمقاومة الروس مثلا .

وكنت أرى ان هذه القضايا ، يجب أن تترك لتقدير القائد العسكرى نفسه ، وان على الحكومات الا تتدخل الا فى حالة ظهورمشكلات سياسية ، ولم أستطع ان أرى ، لماذا يجب أن ناسى وان نتالم ، اذا تمكنا عن طريق استسلام جماعي في الغرب من الوصول الى نهر الألب ، أوالى ما وراءه قبل ستالين ، ويذكرنى جوك كولفيل بأننى قلت له تلك الليلة :

« اننى لا أحب التفكير فى تجزئة المانيا قبل أن تتبدد شكوكى تجاه نوايا روسيا » .

وتلقيت فى الخامس من ابريل ، من الرئيس روزفلت ، النصوص المذهلة للمخابرات التى جرت بينه وبين ستالين .

فقد كتب ستالين يقول : « لاشك فى أنك محق كل الحق ، انه بالنسبة الى القضية المتعلقة بالمفاوضات بين القيادة الانجلو - أمريكية ، والقيادة الألمانية ، في مكان ما ببون أو فى غيرها ، فان جوا من الشكوك والمخاوف يستحق الأسف ، قد خلق بيننا » .

« وانك لتصر على أن أية مفاوضات لم تدر بعد ، وقد يقال انك لم تطلع على الموضوع تماما ، أو لم يطلعوك عليه ، ولكن زملائى من العسكريين لا يساورهم أدنى شك في أن المفاوضات قد وقعت فعلا ، وانها انتهت بالاتفاق مع الالمان على أساس قيام القائد الالمانى فى « الجبهة الغربية » الماريشال كيسلرنج بفتح جبهته ، والسماح للقوات الانجلو - أمريكية ، بالتقدم شرقا ، فى حين وعد الانجلو ، أمريكيون الالمان مقابل ذلك بتسهيل بنود الصلح وتخفيفها .

« وكنتيجة لهذا ، فان الألمانيين فى الوقت الحاضر ، قد توقفوا فعلا عن الحرب ضد انجلترا والولايات المتحدة ، فى حين هم يواصلون فى الوقت نفسه الحرب ضد روسيا ، حليفة انجلترا والولايات المتحدة » .

وقد أغضب هذا الاتهام الرئيس روزفلت ، ولم تكن صحته لتسمح له بأن يكتب رده بنفسه ؛ فقام الجنرال مارشال بصياغة الرد الذى وافق عليه روزفلت ، وجاء فيه :

« ثقة منى بأنك لاتشك فى استقامتي الشخصية ، وتصميما منى على الحصول معك على استسلام غير مشروط من النازيين ، يدهشنى أن أسمع بأن الحكومة السوفييتية قد تسلط عليها الاعتقاد بأننى قد

توصلت الى اتفاق مع العدو ، دون أن أحصل مقدما على موافقتك التامة ، واود أن أقول أخيرا : انها ستكون من أشد مآسى التاريخ ايلاما ، اذا كنا فى ساعة النصر الذى أصبح فى متناول ايدينا ، ثم يقوم بيننا مثل هذا الجو من عدم الثقة ، والافتقار الى الايمان ، مما يؤثر حتما على كل ما قمنا به بعد هذه التضحيات الكبيرة فى الأرواح والأموال والموارد ·

واود ان اصارحك بأننى لا أستطيع أن أكتم الشعور بالسخط الشديد على مخبريك ، أيا كانوا ، على مثل هذا التشويه اللئيم لتصرفاتى وتصرفات مساعدى الموثوق بهم » ·

وقد كتبت اليه فورا ، كما كتبت أيضا الى ستالين ، وتلقيت بعد بضعة أيام شيئا يشبه الاعتذار من الديكتاتور الروسى ، وأبرق الى الرئيس فى الثانى عشر من ابريل يقول : « أفضل أن أقلل من المشكلة السوفييتية العامة الى أقصى حد ممكن ، لأن مثل هذه المشكلات تبدو كل يوم تقريبا ، وان بعضها يصل الى حد الازمة ، كما وقع فى حادث اجتماع بون ، وعلينا أن نكون على كل حال متماسكين ، وأعتقد أن السبيل الذى اختططناه كان صحيحا » ·

هذا وقد توفى الرئيس روزفلت فجأة بعد ظهر الخميس الثانى عشر من شهر نيسان عام ١٩٤٥ ، وعندما تلقيت هذا النبأ شعرت وكاننى قد اصبت بصدمة قوية على راسى ، واحسست بشعور عميق يغمرنى للخسارة الفادحة التى لا تعوض ، وقد اقترحت على مجلس العموم ان نفض جلستنا اليوم اكراما لذكرى الفقيد العظيم ·

وكان أول خاطر جال فى فكرى ، أن أطير الى واشنطن لحضور المآتم ، وفعلا أصدرت أوامرى باعداد الطائرة ، وقد أبرق الى اللورد هاليفاكس يقول : ان هوبكنز وستينيوس قد تاثرا اشد التاثر من فكرتى بالمجىء ، ووافقا بحرارة على قرارى ، الذى قد ينتج عنه الكثير من الخير ، كما طلب اليه المستر ترومان ابلاغى انه قدر شخصيا كل التقدير أن تتاح له الفرصة للقائى فى أقرب وقت ممكن · وأن أظل بعد تشييع الجثمان يومين أو ثلاثة لنتحدث معا » ·

ومع ذلك فقد تعرضت لضغط هائل ، بألا اغادر البلاد فى هذه الفترة الحرجة والكثيرة المصاعب ، ووجدت نفسى مرغما على الاذعان لرغبات اصدقائى ، أما الآن وعلى ضوء ماحدث بعد ذلك فاننى لآسف أشد الاسف على تخلفى عن تلبية اقتراح الرئيس الجديد ، لانه لم يسبق لى أن اجتمعت به ، واننى لاشعر بأنه كانت هناك نقاط عدة يكون الحديث الشخصى بصددها مهما كل الاهمية ، ولاسيما اذا دارت هذه الاحاديث فى ايام عدة ، ولم ترتجل ، أو تتخذ شكلا رسميا مختصرا ، كما بدا لى « أن من الغرابة بمكان عظيم ، ولاسيما فى بضعة الاشهر الاخيرة » ان روزفلت لم يحاول أن يجعل خلفه المحتمل مطلعا تمام الاطلاع على الاحداث كلها ، كما لم يقحمه مطلقا فى القرارات التى كانت تتخذ فى ذلك الحين ، وقد

برهنت هذه السياسة على ضرر كبير لحق قضايانا ، فليس ثمة وجه للمقارنة بين أن يقرأ الانسان الحوادث فيما بعد ، وبين أن يعيش فيها ساعة بعد أخرى ، فكيف يمكن للمستر ترومان أن يعـــرف جميع القضايا ذات الخطورة ، ونحن في ذروة الحرب وان يزنها ؟ ولقد دل ما عرفناه عنه فيما بعد على أنه رجل جريء وذو عزيمـــــة وقادر على اتخاذ أخطر القرارات واعظمها ، الا أن مركزه في الاشهر الاولى كان صعبا كل الصعوبة ، ولم يمكنه من اظهار مواهبه البارزة الى حيز التنفيذ .

وكان أول عمل سياسي قام به المستر ترومان في الشئون التي تعنينا ، الاهتمام بالقضية البولندية ، من النقطة التي توقفت عندها ، وقد اقترح ان نوجه بيانا مشتركا الى ستالين .

كما اعترف بأن موقف ستالين لا يوحي بالكثير من الامل ، ولكنه أكد ضرورة قيامنا « بخطوة جديدة » واقترح تبعا لذلك ، أن نبلغ ستالين ، أن سفيرينا في موسكو قد وافقا دون تردد على دعوة ثلاثة من قادة حكومة وارسو الى موسكو للتشاور ، وأن نؤكد له بأننـــا لا ننكر مطلقا على حكومة وارسو الحـــق في أن تلعب دورا بارزا في تاليف حكومة الوحدة القومية البولندية المؤقتة ، وكانت المشـــكلة الحقيقية هي : هل تستطيع حكومة وارسو أن تضع « الفيتو » على اسماء أي المرشحين للتشاور ؟

وقد بعثنا برسالتنا المشتركة في الخامس عشر من ابريل ، وكان المسيو ميكولاجيك في اثناء ذلك قد قبل قرارات مؤتمر القرم المتعلقة ببولندا وفي ضمنها تخطيط حدودهـــا الشرقية على أســـاس خط كرزون ، فابلغت ستالين بموافقته ، ولمـــا كنت لم أتلق ردا ، فقــد ظننت أن الديكتاتور قد رضي عن هذه النتيجة ، هذا وقد ابرق الى المستر ايدن من واشنطن يقول : انه متفق مع المستر ستيتينوس على ضرورة تجديد طلبنا بايفاد المراقبين الى بولندا ، وأن علينا من جديد أن نضغط على الحكومة السوفييتية لوقف مفاوضاتها لعقد معاهدة صلح مع لجنة لوبلين ، ولكن ما كادت هذه البرقية تصل الينا حتى حملت الينا الانباء ان المعاهدة قد تم توقيعها .

وعند ما تبين لى اننا لن نصل الى اى شيء ، ارسلت في التاسع والعشرين من ابريل البرقية التالية شارحا فيها وجهة نظرى كلها :

« ان من الحق أن يقال اننا وصلنا مع بولندا الى خط محـــدود من العمل بالاتفاق مع الامريكيين ، واننا نشعر معا وباخلاص ، بأن معاملتنا قد تغيرت منذ مؤتمر القرم ، حيث كنا متفقين مع الامريكيين على ان العهد الذى قطعناه على انفسنا ، بقيام دولة مستقلة وحرة ذات سيادة في بولندا ، ولها حكومتها التي تمثل جميع العنـــاصر الديمقراطية بين البولنديين ، هو قضية واجب وكرامة بالنسبة الينا وأنا لا أرى أى أمل هناك في أى تبديل في موقف دولتينا .

لقد وافقناك بصورة عامة فى مطلع عـــام ١٩٤٤ على مشروعك لتخطيط الحدود البولندية ـ الروسيه ، وفقا لخط كرزون ، مع اضافة لوار الى روسيا ، وأرى أن عليك أن تقابلنا فى منتصف الطريق تجاه السياسة التى اشتركت أنت معنا فى اعلانها ، وهى سيادة بولندا واستقلالها وحريتها على شرط ان تكون صديقة لروسيا .

« وهناك متاعب اخرى فى الوقت الحاضر ، بسبب هذه القصص المختلفة التى تخرج من بولندا ، والتى قد تثـــار فى المجلس او فى الصحف فى اية لحظة على الرغم من الجهود التى أبذلها للحيلولة دون ذلك ، وعلى الرغم من أن المسيو مولوتوف يضــن علينا بأية معلومات فى صددها متجاهلا طلباتنا المتكررة ، فهناك ، مثلا قصـــة أولئك البولنديين الخمسة عشر ، الذين قيل انهم قابلوا السلطات الروسية ، قبل نحو من اربعة اسابيع للبحث معها ، كما أن هناك قصصا أخرى تتناول أشخاصا قيل أنهم أبعدوا من البلاد ، وما شابه ذلك من قصص ، فكيف يسعنى ان أرد على هذه الشكاوى عندما لا أحصل منكم على أية معلومات ، وعندما لا يسمح لنا ولا للامريكيين بارسال اى شخص الى بولندا ، ليرى بنفسه حقيقة ما يدور فيها ، مع أنه ليس هناك اى جزء من المناطق التى حررناها أو نحتلها لا تستطيعون ان ترسلوا اليه بعثاتكم ، ولا نعرف ما الذى يحول بينكم وبين قبول زيارات مماثلة تقوم بها وفود بريطانية الى بلاد أجنبية قمتم أنتم بتحريرها .

وليس هنـــاك من آمال مشرقة ، اذا تطلعنا الى المستقبل ، فرأيناكم فيه مع البلاد التى تسـيطرون عليـــها ، ومع الاحزاب الشيوعية فى العديد من الدول الأخرى ، تقفون فى صف واحـــد ، فى حين يقف فى الجانب الآخر اولئـــك الذين يؤيدون الدول الناطقة بالانجليزية وشريكاتها وممتلكاتها المستقلة ، ومن الواضح أن النزاع بين الفريقين سيمزق العالم الى اشلاء ، وسيحل بنا العار جميعا نحن المسئولين عن تولى القيادة أمام التاريخ ، يضـــاف الى هذا أن الاستمرار فى فترة طويلة من الشكوك والاهانات والرد عليها بمثلها ، والسياسات المتعارضة ، سيكون بمثابة كارثة تعرقل التطورات العظيمة للرخاء العالمى بالنسبة الى الجماهير .

وأرجو يا صديقى ستالين الا تقلل من الخلافات التى بدأت تظهر حول قضايا قد تعتبرها صغيرة بالنسبة لنا ، ولكنها قد تكون معبرة عن الطريقة التى تنظر بها الديمقراطية الناطقة بالانجليزية الى الحياة » . .

وارى لزاما على هنا ان اسجل حادث البولنديين المفقودين الذى اشرت اليه فى الفقرة الثانية من البرقية ، والتى اصدرت ايضا بشأنه الحكومة البولندية فى المنفى ، بيانا فى لندن فى السادس من ابريل كشفت فيه الخطوط العريضة لهذه القصة الغريبة ، فقد اختفى الزعماء البارزون لحركة المقاومة السرية البولندية دون أن يتركوا اثرا يدل عليهم ، على الرغم من الضمانات التى تلقوها بالمحافظة على

سلامتهم ، وقد وجهت بسببهم أسئلة عدة فى البرلمان البريطانى ، كما نفات فصص عده عن افتيال الزعماء البولنديين المحليين فى المناطق التى تحتلها الجيوش الروسية واعدامهم ، وكان من افظع هذه القصص ماوقع فى سـيد يلنى فى شرقى بولنـدا ، ولم يعترف مولوتوف الا فى الرابع من مايو وهو فى سان فرانسيسكو بأن هؤلاء القـادة معتقلون فى روسيا ، ثم ذكرت وكالة الانباء الروسية فى اليوم التالى ، أنهم ينتظرون محاكمتهم بتهمة القيام بأعمال تخريبية فى مؤخرة الجيش الاحمر .

وقد أعلن ستالين فى الثامن عشر من مايو رسميا ، أن هؤلاء الزعماء المعتقلين لم يدعوا مطلقا الى موسكو ، واكد انهم اعتقلوا لانهم مخربون ، وسيحاكمون بموجب قانون « يشبه قانون الدفاع عن المملكة فى بريطانيا » وبذلك فانه لم يعد أحد يسمع شيئا عن ضحايا هـذا الفخ ، حتى بدات محاكمتهم فى الثامن عشر من يونيو ، وقد جرت هذه المحاكمات وفقا للطريقة الشيوعية ، المعهودة ، فقد اتهموا بالتخريب والارهاب والتجسس ، واعترفوا جميعـا باستثناء واحد منهم بجميع التهم التى وجهت اليهم أو ببعضها على الاقل ، وادين ثلاثة عشر منهم وصدرت عليهم أحكام بالسجن متفاوتة ، أقصاها عشر سنوات ، فى حين برئت ساحة ثلاثة منهم ، وكانت هـذه هى التصفية القضـائية لقيادة الحركة السرية البولندية التى قاتلت ببطولة ضد هتلر ، أما رجال هذه الحركة من الافراد العاديين فقـد ماتوا تحت انقاض وارسو .

وفى اثناء ذلك تلقيت ردا على ، غير مشجع من ستالين بتاريخ خمسة مايو وهذا نصه : ـ

« ارى لزاما على أن اذكر عدم موافقتى على الحجج التى استندت اليها فى تأييد موقفك ولا أستطيع مطلقا أن أشاطرك آراءك ، ولا سيما الفقرة المتعلقة باقتراحك ، بأن تتولى الدول الكبرى الثلاث الاشراف على الانتخابات ، فمثل هذا الاشراف بالنسبة الى شعب دولة حليفة لا يمكن أن يعتبر الا اهانة له ، وتدخلا صارخا فى شئونه الداخلية ، كما أن هذا الاشراف لم يكن ضروريا بالنسبة لبعض الدول التى كانت ضحية مع المانيا سـابقا ، ثم عادت فاعلنت الحرب عليها وانضمت الى الحلفاء ، كما هو الحال فى فنلندا ، حيث تمت الانتخابات فيها دون تدخل أجنبى ويجب أن يكون وضع بولندا كدولة مجـاورة للاتحـاد السوفييتى ، أن تكون حكومتها المقبلة صديقة مخلصة ، ويهم الامم المتحدة أن تقوم هناك صـداقة قوية ودائمة بين الاتحـاد السوفييتى وبولندا ، وعلى ضوء هذا فاننا لا نود أن يشترك فى تأليف الحكومة البولندية المقبلة رجال كما تصفهم أنت ليسـوا معـادين للسوفييت مطلقا ، ان هذا التصنيف لا يعجبنا ولا يرضينا ، فنحن نصر وسنصر دائما على أن الذين يؤلفون الحكومة البولندية المقبلة أولئك الذين وقفوا موقفا وديا حقيقيا تجاه الاتحاد السوفييتى ، والذين هم على استعداد حقا وباخلاص وبأمانة للتعاون مع الاتحاد السوفييتى .

أما ما ورد في رسالتك عن المتاعب الناشئة عن شائعة اعتقال خمسة عشر بولنديا وما أشبه ذلك .

فانني أستطيع أن ابلغك أن تلك الفئة من البولنديين الذين تشير اليهم لا تضم خمسة عشر شخصا فقط ، بل هم ستة عشر برياسة الجنرال البولندي المعروف أوكوليكي ، وقد اعتقلوا من قبل السلطات العسكرية في الجبهة السوفييتية ، ويجرى التحقيق معهم الآن في موسكو ، لاتهامهم بالقيام بأعمال التخريب في مؤخرة الجيش الاحمر ، مما ادى الى مقتل أكثر من مائة جندي وضابط من رجال هذا الجيش ، كما أن الجنرال أوكوليكي متهم أيضا بالاحتفاظ بمحطات ارسال لاسلكية غير مشروعة في مؤخرة قواتنا مما يتعارض مع القوانين ، وبعد الانتهاء من التحقيق معهم سيقدم جميعهم او بعضهم الى المحاكمة ، وهذه هي الطريقة التي يشعر الجيش الاحمر بوجوب اتباعها لحماية جنوده ومؤخرته من أعمال المخربين والمعكرين لصفو الامن والنظام .

أما ماينشره جهاز الاستعلامات البريطاني من الشائعات عن قتل البولنديين في سيديلشي واطلاق النار عليهم ، فهو محض اختلاق، وقد اعتمد في اذاعتها كما يبدو على الانباء التي تصله من الوكلاء المعادين للسوفييت .

أما ما أوضحته في رسالتك من أنك لا تعتزم الاعتراف بالحكومة البولندية المؤقتة ، كما انك لست على استعداد أيضا لاعطاء هذه الحكومة مكانها الشرعي في الحكومة المقبلة ، فاني أصارحك القول ، بأن هذا الموقف يبعد امكان الوصول الى حل متفق عليه للمشكلة البولندية » .

وقد ارسلت نص هذه الرسالة الى الرئيس ترومان ، بعد ان اضفت اليها التعليق التالي : ـ

« يبدو لي أن الامور لا يمكن أن تخطو خطوة جديدة عن طريق الرسائل ، وأن من الواجب عقد اجتماع لرؤساء الحكومات الثلاث في أقرب وقت ممكن ، وعلينا أن نصمد بثبات للوضع الراهن الذي حصلت عليه قواتنا أو ستحصل عليه في يوغوسلافيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا ، وفي جبهة الولايات المتحدة الوسطى والجبهة البريطانية ، ويجب علينا أن نصل الى لوبيك والدانمارك ، كما رسمت للمستر ايدن الذي كان يشهد مؤتمر سان فرانسيسكو ، الصورة الاوروبية كما أراها ، وكان على وشك القيام بزيارة ثانية للرئيس ترومان في واشنطن كما كان على اتصال يومي بستيتينوس ومولوتوف : وقلت له فيها : ـ

اعتقد أن الازمة البولندية لا يمكن أن تحل الآن الا في مؤتمر يعقده رؤساء الحكومات الثلاث في أية مدينة تكون قد نجت من التدمير في المانيا ، وان يعقد هذا المؤتمر في أوائل شهر يوليو على أكثر تقدير .

وقد يصبح من الاسهل حل المشكلة البولندية اذا ربطت بالمشكلات البارزة المتعددة ، وذات الخطورة البالغة ، التى تتطلب تسوية عاجلة مع الروس ، وانى أخشى أن تكون أشياء مخيفة قد وقعت ابان الزحف الروسى الى ألمانيا عبر نهر الالب ، كما أن الانسحاب المقترح للجيوش الامريكية الى خطوط الاحتلال التى تم الاتفاق عليها فى كويبك ، يعنى امتداد السيطرة الروسية مائة وعشرين ميلا الى الامام ، على جبهة تمتد ثلثمائة ميل أو اربعمائة ، وسيكون هذا الحادث ان وقع من أكثر الحوادث الما فى التاريخ ، فبولندا بعد أن تم احتلالها ستصبح جزءا من الاراضى المدفونة فى المنطقة التى يحتلها الروس ، وبذلك ستمد الحدود الروسية من رأس الشمال فى النرويج على طول الحدود السويدية ـ الفنلندية ، وعبر البلطيق الى نقطة تقع الى الشرق من لوبيك ، ومن ثم على طول خط الاحتلال المتفق عليه وعلى طول الحدود بين بافاريا وتشيكوسلوفاكيا الى حدود النمسا ، التى ستكون اسميا تحت الاحتلال الرباعى ، وهكذا فان المناطق التى ستقع تحت الاشراف الروسى ، ستشمل دول البلطيق وجميع الاقسام الالمانية الواقعة الى شرق خط الاحتلال ، وكل تشيكوسلوفاكيا وقسما كبيرا من النمسا ، وجميع يوغوسلافيا والمجر ورومانيا وبلغاريا حتى حدود اليونان ، كما أنها ستضم جميع العواصم المهمة فى أواسط أوروبا ومنها برلين وبودابست وبلغراد وبخارست وصوفيا ، وسيجرى البحث فورا فى وضع تركيا والقسطنطينية .

ان هذا الوضع سيكون حدثا لم يسبق له مثيل ، ولم يواجهه الحلفاء فى صراعهم الطويل الملىء بالمخاطر ، كما ستكون التعويضات التى تطلبها روسيا من ألمانيا كبيرة الى الحد الذى يمكنها من فرض الاحتلال عليها الى أمد غير محدود ، أو الى عدة سنوات على الاقل ، كما ستصبح بولندا خاضعة للاشراف البوليسى السوفييتى .

وارى أن الوقت قد حان لبحث هذه القضايا الهامة والخطيرة بين الدول الكبرى مجتمعة ، وتوجد لدينا أوراق رابحة نستطيع استخدامها فى المساومة ، لنصل الى اتفاقات سلمية ، كما أرى انه من الواجب أولا الا يتراجع الحلفاء عن مراكزهم الحالية الى خطوط الاحتلال المتفق عليها ، الى أن نعرف ماسيقع فى بولندا ، وكذلك الاوضاع التى سيكون عليها الاحتلال الروسى لالمانيا والبلاد التى يشرف عليها الروس فى حوض الدانوب ، وفى وسعنا أن نرضى الروس عن طريق مداخل البحر الاسود وبحر البلطيق كجزء من تسوية عامة .

واذا لم تسو جميع هذه القضايا قبل سحب الجيوش الامريكية

من أوروبا ، وقبل ان يطوى العالم الغربى اجهزته الحربية ، فلن يكون هناك أمل فى الوصول الى حل مرض ، وتجنب حرب كونية ثالثة .

وعلينـــا أن نركز جميع آمالنـــــا الآن على مثل هــــذا الصراع لتسوية جميع هذه المشكلات مع روسيا فى أسرع وقت ممكن ، وليكن معلوماً أننى أعارض كل المعارضة فى تخفيف مطالبنا من روسيا بسبب بولندا » .

وفى اليوم التالى ارسلت برقية اخرى الى الرئيس قلت فيها :

« ليس في وسع أى شىء أن ينقذنا من الكارثة ، الا اجتماع عاجل ، ونزاع وصراع فى أى مكان من ألمانيا يقع تحت الاحتلال الامريكى أو البريطانى ، لكى يؤمن أماكن الراحة للجميع » .

«استسلام المانيا»

انتهت حملاتنا في البحر الأبيض المتوسط ، بانتصار مشرف ، وقد تولى اليكساندر القيادة العليا في شهر ديسمبر خلفا لويكسون ، كما تولى مارك كلارك قيادة مجموعة الجيوش الخامسة عشرة ، وبالنسبة للجهـود المضنية التي بذلتها الجيوش في ايطاليا ، فقـد أصبحت في حاجة الى التوقف لفترة تعيدفيها تنظيمها وتجديد روحها المعنوية وقوتها الهجومية.

وكانت المقاومة الألمانية الباسلة والطويلة ، والتي كانت غير متوقعة على جميع الجبهات ، قد جعلتنا نحن والأمريكيين مفتقرين الى العتـاد الدفعي ، كما أرغمتنا تجاربنا القاسية ، في حروب الشتاء في ايطاليا على تأجيل الهجوم العام حتى الربيع ، الا أن قوات الحلفاء الجـوية بقيادة الجنرال كانون ظلت تقصف خطوط تموين الجيوش الألمانية حتى تـم اغلاق الطريق المهم الممتـد من فـيرونا الى ممر برنر حيث كان هتلر وموسوليني يعقدان اجتماعاتهما في أماكن عدة طوال شهر مارس ، وقد تسبب اغلاق هذا الطريق في تأخير نقل الفرقتين الألمـانيتين اللتين تقرر ارسالهما الى روسيا أكثر من شهر .

وكان لدى العدو كميات كافية من العتـاد والمؤن ، ولكنه كان في حاجة الى الوقود ، وكانت وحداته لا تزال كاملة وروحها المعنوية عالية على الرغم من هزائم هتلر في الراين وعلى نهر الأدور ، ويبدو أن القيـادة العليا الألمانية ماكانت لتخشى الكثير لولا سيطرتنا الجوية ولولا اننا كنا نتمتع بزمام المبادرة ونستطيع أن نوجه الضربة حيث نشاء ، بينما كان الخط الدفاعي الذي اختاره الألمان سيئا ، اذ جعلوا نهر اليو الواسع وراء ظهورهم ، وكان من الأفضل للألمان لو تخلوا عن شمال ايطاليا كلهـا وانسـحبوا الى الخطوط الدفاعية المنيعة في الجبـال ، حيث كان في استطاعتهم أن يصمدوا أمامنا بقوات قليلة ، وأن يبعثوا بما يتوافر لديهم من قوات الى الجبهات الأخرى .

ولكن الهزيمة التي لحقت بالألمان في جنوبي نهر اليو كانت بمثابة كارثة . ولا ريب في أن كيسلرنج قـد أدرك ذلك ، وهو ما حمله على المفاوضات التي سجلناها في الفصل السابق ، ولكن هتلر كان دائمـا العقبة الكأداء ، بدليل انه عندما اقترح فيتينجهوف الذي خلف كيسلرنج في الانسحاب التكتيكي ، جاءه الرد الصارم من هتلر وقد قال فيه : « ان الفوهرر يتوقع الآن كما توقع دائما ان تؤدي بثبات وصـلابة مهمتك الراهنة في الدفاع عن كل شبر من أراضي شمال ايطاليا ، وهي الأراضي التي أوكل اليك أمر الدفاع عنها » .

وقد شرع الجيش الثامن فيهجومه مساء التاسع من ابريل بالغارات

الجوية ومدافع الميدان ، ولم يحل اليوم الرابع عشر من ابريل حتى كانت الأنباء الطيبة قد وصلت من جميع أنحـــاء الجبهة ، وقد تمكن الجيش الخامس بعد قتال عنيف استمر اسبوعا من الخلاص من المنطقة الجبلية وعبور الطرق الرئيسية الممتدة الى الغرب من بولونا ، ثم اتجه شمالا ٠ وفى اليوم العشرين من ابريل أمر فيتينجهوف قواته بالانسحاب متحديا أوامر هتلر ، ولكن الفرصة كانت قد ضـــاعت ، حيث استمر الجيش الخامس فى اندفاعه نحو نهر اليو ، ومهدت له الطائرات طريق تقدمه ، حيث قطع خط الرجعة على ألوف الالمانيين الذين وقعوا فى الفخ وانقطعت بهم السبل فوقعوا أسرى ولم تتمكن هذه البقايا التى خلفت وراءها جميع معداتها الثقيلة قبل عبور النهر من اعادة تنظيمها ، فقد طاردتها جيوش الحلفاء الى سفوح الاريج ، فى حين كان رجال المقاومة الايطالية ينزلون المصاعب بالعدو فى الجبال والمناطق الخلفية ٠

وفى الخامس والعشرين من ابريل ، صدرت الأوامر لقوات المقـاومة باعلان الثورة العامة وفى الحال شرعت تشن هجمات واســـعة النطاق وتمكنت من السيطرة على مدن مهمة كميـــلانو والبندقية وغدت عملية الاستسلام فى شمال غربى ايطاليا بالجملة ، كما سلمت حامية جنـــوة المؤلفة من أربعة آلاف جندى نفسها الى ضابط ارتباط بريطانى والى قوات المقاومة ٠

وفى هذه الأثناء ، جاء وولف الى ســـويسرا ثانية بعـــد أن منحه فيتينجهوف السلطات الكاملة ، كما وصل رســـولان آخران مفوضان الى مقر قيادة اليكساندر ، ووقعا فى التاســـع والعشرين من ابريل وثيقة الاستسلام غير المشروطة بحضور بعض الضباط البريطانيين والأمريكيين والروسيين ، كما انه فى الثانى من مايو استسلم نحو من مليون المـانى كأسرى حرب وانتهت – باستسلامهم – الحرب فى ايطاليا كلها ٠

وهكذا انتهت حملتنا التى اســـتغرقت عشرين شـــهرا ، وكانت خسائرنا كبيرة الا أن خسائر العدو كانت أعظم ٠

وجاءت النهاية لموسولينى ايضـــا ، ويبدو أنه ظل كهتلر محتفظا بأحلامه وخيالاته ، حتى اللحظة الأخيرة ، فقام فى نهاية مايو بآخر زيارة لشريكه الألمانى ، ثم عاد لمقر قيادته على شاطىء بحيرة جاردا ، وقـــد انتعشت فى خاطره أحلام الأسلحة السرية التى ستؤدى الى النصر ، ولكن سرعة زحف الحلفاء من جبال الابنين قد قضت على هذه الأحلام ٠

وقرر موسولينى فى الخامس والعشرين من ابريل أن يحل ما تبقى من قواته المسلحة وأن يطلب الى كردينال ميـــلانو ورئيس أساقفتها أن يرتب اجتماعا له مع أعضاء اللجنة السرية العسكرية لحركة التحرر الوطنى الايطالية ، ودارت المحادثات فى قصر الكردينال فى ظهر ذلك اليوم ولكن موسولينى خرج غاضبا منه ، وفى المساء سار موسولينى على رأس قافلة تضم معظم الباقين من زعماء الفاشية الى دار الشرطة فى كومو ، بعـد أن ارتدى معطفا وخوذة من التى يرتديها الجنود الألمان ، ولكن دوريات رجال

المقاومة أوقفت القافلة وتعرف أفرادها على موسوليني فوضعوا أيديهم عليه ونقلوه الى السجن ، كما اعتقل آخرون من بينهم عشيقته السنيورة بيتاتشي ، وحمل الدوتشي وعشيقته في اليوم التالي بأمر من الشيوعيين في السيارة الى خارج البلدة وقتلا ، ونقل جثماناهما الى ميلانو ، حيث علقا من الأقدام على خطافات اللحم في محطة بنزين في «بياز الى لورينو» ، وهكذا كانت خاتمة الديكتاتور الايطالي .

وقد واصلت الجيوش النازية زحفها في المانيا بقوة ، وأخذت المسافات بينها تضيق يوما بعد يوم ، وكان أيزنهاور في أوائل شهر ابريل قد اجتاز نهر الراين وأخذ يندفع الى المانيا وأواسط أوروبا ضد عدو كان لا يزال يقاوم بضراوة في بعض الجهات ، وان كان عاجزا عن وقف زحفنا المظفر ، وكانت بولندا خارج نطاق امكاناتنا وكذلك كانت فيينا ، التي ضاعت فرصتنا في الوصول اليها قبل الروس ، عن طريق زحف سريع من ايطاليا قبل ثمانية أشهر ، عندما ضوعفت قوات الجنرال اليكساندر ، لتمكين حركة الانزال في فرنسا من النجاح ، وكان الروس قد زحفوا على المدينة من الشرق والجنوب وامتلكوها .

وقد بدا لي أنه ليس هناك ما يحول بين الحلفاء الغربيين وبين احتلال برلين ، وكان الروس على بعد خمسة وثلاثين ميلا منها ، وكان الألمان قد تحصنوا في خنادقهم على نهر الادور ، وكان من المتوقع أن تدور معارك شديدة للغاية قبل أن يتمكن الروس من عبور النهر واستئناف الهجوم ، وكان الجيش الأمريكي التاسع من الناحية الأخرى قد عبر نهر الألب على مقربة من مجدبورج وغدا على بعد ستين ميلا من برلين وتوقف هناك . وبعد اربعة أيام شرع الروس في هجومهم واتموا تطويق برلين في الخامس والعشرين من ابريل ، مع أن ستالين كان قد أبلغ أيزنهاور أن ضربته الرئيسية الثانية ضد المانيا ، ستشن حوالى النصف الثاني من شهر مايو ، ولكنه تمكن من الزحف قبل شهر من الموعد الذى حدده ، ولعل في تقدمنا السريع نحو نهر الألب ، التفسير الصحيح لزحف الروس بمثل هذه السرعة .

وفي الخامس والعشرين من ابريل عام ١٩٤٥ ، التقت طلائع قوات الجيش الأول الأمريكي القادمة من ليبزيج بالقوات الروسية على مقربة من تورجاو على نهر الألب ، وهكذا تم شطر المانيا الى شطرين ، ورأينا الجيش الألماني ينحل أمامنا ، وسقط في الأسر أكثر من مليون الماني في الأسابيع الثلاثة الأولى من شهر ابريل .

ولما كان الجنرال أيزنهاور يعتقد بأن النازيين المتعصبين سيحاولون الدفاع عن جبال بافاريا وغربي النمسا ، فقد اتجه بالجيش الأمريكي الثالث جنوبا ، ودخل جناح الجيش الأيسر الى تشيكوسلوفاكيا ، فوصل الى بوديجوفيك وبيلسين وكارلسباد وأصبحت براج في متناول أيدينا . ولم يكن هناك ما يحول دون احتلالها من الناحية العسكرية ، وقد اقترحت على ترومان أن يقوم أيزنهاور باحتلال العاصمة التشيكية ، ولكن ترومان عارض الفكرة . وبعد أسبوع أبرقت شخصيا الى أيزنهاور بذلك ، ولكنه

رد على بانه اذا تطلب الوضع فقد يجتاز الحدود الى الخط العام الممتد من كارلسباد الى بيلسين فبوديجوفيك ، وقد وافق الروس على ذلك ، وبعد أن تحركت قوات أيزنهاور الى الخط الجديد ، عارض الروس بشدة فى أن يستمر الجيش الأمريكي الثالث فى زحفه حتى نهر فولتافا ، الذى يمر عبر مدينة براج ، وهكذا توقف الجيش الأمريكى ، فى حين ظهر الجيش الأحمر على الضفتين الشرقية والغربية لنهر مولداو واحتل مدينة براج ، فى التاسع من شهر مايو ، أى بعد يومين من التوقيع على الاستسلام العام فى ريمز .

ولما كان موضوع احتلال الحلفاء الرئيسيين لألمانيا قد درس دراسة عميقة فى صيف عام ١٩٤٣ بالاتفاق مع رؤساء أركان الحرب ، فقد تقرر أن تحتل ألمانيا بأكملها اذا أريد نزع سلاحها بصورة فعالة ، أما اذا أريد التخلص منها بتقسيمها ثلاث مناطق احتلال رئيسية متساوية حجما ، فيجب أن يحتل البريطانيون الشمال الغربى ، والأمريكيون الجنوب والجنوب الغربى والروس المنطقة الشرقية ، كما يجب أن تكون مدينة برلين منطقة مشتركة منفصلة يحتلها الحلفاء الثلاثة ، وقد ووفق على هذه التوصيات وقدمت الى المجلس الاستشارى الأوروبى الذى كان يتألف من السفير السوفييتى المسيو جوسييف والسفير الأمريكى المستر وينانت والسير ويليام سترانج من وزارة الخارجية البريطانية .

وبدأ الموضوع فى ذلك الوقت مجرد شىء نظرى ، فلم يكن فى استطاعة أى انسان أن يتكهن آنذاك كيف ومتى ستنتهى الحرب ، وكانت الجيوش الألمانية لا تزال تحتل مناطق واسعة من روسيا ، وكان لابد أن يمضى عام واحد على الأقل قبل أن تضع الجيوش البريطانية والأمريكية أقدامها فى أوروبا الغربية ، وعامان قبل أن تدخل هذه الجيوش ألمانيا ، وهكذا ظلت هذه الاقتراحات كغيرها موضوعة على الرف ، وكانت الفكرة السائدة فى تلك الأيام ان روسيا لن تستمر فى الحرب بعد أن تستعيد حدودها السابقة ، وكان على الحلفاء الغربيين أن يبذلوا جهودا ضخمة لاقناع الروس بعدم التراخى فى مجهودهم ، ولهذا فان موضوع الاحتلال الروسى لألمانيا لم يتبلور فى أفكارنا ولا فى المحادثات البريطانية الأمريكية ، كما لم يثر فى اجتماع الكبار الثلاثة فى طهران .

وعندما اجتمعنا فى القاهرة فى طريق عودتنا الى الوطن فى أكتوبر عام ١٩٤٣ ، أثار رؤساء أركان الحرب الأمريكيون الموضوع ، ولكن لم تكن اثارتهم اياه بناء على طلب من روسيا ، وقد ظلت مسألة الاحتلال الروسى لألمانيا ، لا تعدو أن تكون أمنية أو خيالا ، كما انه قد قيل لى ان الرئيس روزفلت رغب فى أن يغير وضع احتلال المنطقتين البريطانية والامريكية فى ألمانيا ، لكى تكون طرق مواصلات القوة الامريكية فى ألمانيا مستندة الى البحر مباشرة ولا تمر عبر فرنسا ، ولم نتوصل الى قرار ، وكان من رأى أركان حرب القيادة البريطانية أن الخطة الأصلية هى الأفضل ، كما كان يشاطرهم زملاؤهم الامريكيون فى هذا الرأى ، وقد توصلنا فى مؤتمر كويبك فى سبتمبر عام ١٩٤٤ الى اتفاق ثابت بيننا .

وعندما اقتنع الرئيس بهذا الراى العسكرى ، اشـــترط أن تتمكن الجيوش الأمريكيه من الحصـــول على منفذ قريب الى البحر ضمن منطقة الاحتلال البريطانى ، واتفقنا على ان بريمن وضاحيتها بريمن هافن ، تفيان بهذا الغرض وبمتطلبات أمريكا ، وتقرر أن يعهـــد الى القوات الأمريكية بالاشراف عليها ٠

وقد قبلت الخطة التى وضـــعناها فى كويبك فى مؤتمر يلتا الذى عقدناه فى شهر فبراير عام ١٩٤٥ ، دون اية دراسة ، وتركنا البـــحث الشامل فيها الى معاهدة الصلح ، كما اقترحنا أيضا أن نتفق على مناطق الاحتلال فى النمسا ، ووافق ستالين بعد جهود كبيرة بذلتها لاقناعه ، على ان تعطى للفرنسيين منطقة احتلال ضمن المنطقتين البريطانية والأمريكية وان نعطى لها مقعدا فى مجلس الاشراف الحليفى ، وكان مفهوما للجميع ان هذا الاتفاق على مناطق الاحتلال ، يجب الا يعرقل سير الحركات العملية لجيوش الحلفاء ، وأن يكون فى وسع أى جيش أن يحتل برلين أو براغ أو فيينا اذا وصل اليها قبل غيره ، وعندما افترقنا فى شبه جزيرة القرم ، لم نفترق كحلفاء فحسب بل كأصدقاء ، نواجه عدوا ما زال قويا ٠

وشهد الشهران اللذان تليا ذلك الاجتماع تبدلا هائلا نفذ الى أعماق تفكيرنا ، حيث كان قد تقرر مصـــير المانيا الهتلرية ، حيث كان الروس يحاربون داخل برلين نفسها كمـــا أضحت فينا ومعظم أجزاء النمسا فى أيديهم ، وأصبحت العلاقات بين روسيا وبين الحلفـــاء الغربيين فى حالة سيئة من التوتر ، وظلت كل قضية تتعلق بالمستقبل قائمة لا حل لهـــا بيننا ، وقد طرح الكرملين المنتصر الظافر جانبا ، كل ما اتفقنـــا عليه أو تفاهمنا بشأنه فى يالتة ، وبرزت مخاطر جديدة لا تقـــل فظاعة عن تلك التى تغلبنا عليها ، على العالم الممزق المتعب ٠

وقد زاد قلقى لهذه التطورات المنذرة بالشر ، حتى قبل وفاة الرئيس روزفلت ، وكان هو بدوره أيضـــا قد أحس بالقلق والاضطراب ، وقد سجلت فى هذا الكتاب ما أحس به من غضب بسبب اتهـامات مولوتوف بشأن اتصالات برن ٠ وعلى الرغم من زحف جيوش أيزنهـــاور الظافرة ، فقد وجد الرئيس ترومان نفسه فى النصف الأخير من شهر ابريل ، يواجه أزمة ضخمة ، وكنت أحاول منذ مدة أن أبصر الحكومة الأمريكية بالتبدلات الهائلة التى أخذت تطرأ على المسرحين السياسى والعسكرى ٠

وتشير البرقيات التى نشرتها فى مكان آخر ، الى أننى لم اقترح قط النكوص عن تعهداتنا بشأن مناطق الاحتلال المتفق عليهـــا ، على شرط أن يحترم الآخرون الاتفاقات التى التزموا بها ، وأصبحت مقتنعا اننا قبـــل أن نتوقف فى زحفنا يجب أن نجتمع بستالين وجها الى وجه ، وأن نتوصل معه الى اتفاق يتناول الجبهة كلها ، وكنت أرى من الكوارث الحتمية ، أن نحافظ نحن باخلاص وصدق على جميع التزاماتنا فى حين يضع السوفييت أيديهم على كل ما يستطيعون الامساك به ، دون أى احترام للالتزامات التى ارتبطوا بها ٠

وكان الجنرال أيزنهاور قد اقترح ، انه في الوقت الذي تعطى فيه الحرية للجيوش من الشرق والغرب ، بالزحف والتقدم دون اعتبار مناطق الاحتلال وان في وسع هذه الجيوش بعد أن يتم اتصالها في أية منطقة ، أن تنسحب الى ما وراء حدود مناطق الاحتلال المقررة ، كما تعطى الصلاحيات لتوجيه طلبات الانسحاب ولاصدار الأوامر المتعلقة بها ، الى قواد مجموعات الجيوش ، وبذلك تتم عمليات الانسحاب وفقا لمقتضيات العمليات الحربية ، وقد رأيت أن هذا الاقتراح سابق لأوانه ، وانه يتجاوز الاحتياجات العسكرية الفورية .

وعلى ضوء هذا الرأى وجهت رسالة في الثانى عشر من ابريل الى الرئيس الجديد المستر ترومان ، ولما كان الرئيس حديث عهد بكل هذه المشكلات التى تواجهنا ، فقد كان من الطبيعي بالنسبة له ، أن يلجأ الى مستشاريه ، ولهذا فقد أحرزت الفكرة العسكرية المجردة ، تأكيدا وتأييدا أكثر مما تستحقه ، وقد أبرقت اليه أقول :

« انني على أتم استعداد للتقيد بمناطق الاحتلال ، ولكنني لا أحب ان ارى قوات الحلفاء والقوات الأمريكية ، ترغم على الرجوع فى أية نقطة ، تلبية لطلبات سخيفة من قائد روسى محلى ، وأرى أن يتفق على هذا بين الحكومات ، بحيث تتوافر لايزنهاور الفرصة ليقرر فورا وفى المنطقة نفسها ، الاجراء الذى يجب أن يتخذ وفقا لطريقته .

« ولما كان قد اتفق على مناطق الاحتلال بصورة عاجلة فى كوبيك فى شهر سبتمبر عام ١٩٤٤ ، عندما لم نكن نتوقع أن تتمكن جيوش الجنرال أيزنهاور من احراز هذا التوغل العميق داخل المانيا ، وليس فى الامكان تبديل هذه المناطق الا عن طريق الاتفاق مع الروس ، الا أنه فى الوقت الذى يتم فيه النصر النهائى فى أوربا ، يجب علينا أن نحاول فورا وفى اليوم نفسه اقامة مجلس الاشراف الحليف فى برلين ، وأن نصر على توزيع عادل للمواد الغذائية التى تنتجها المانيا على جميع أجزاء البلاد ، وقد كانت منطقة الاحتلال الروسى فى الوقت الحاضر ، تنتج أكبر نسبة من المواد الغذائية فى حين أن عدد سكانها كان ضئيلا ، بالنسبة لغيرها من المناطق ، كما لا يملك الامريكيون نسبة كافية من المواد الغذائية فى مناطقهم تكفى لأهلها ، أما نحن البريطانيين المساكين ، فسنأخذ ما تبقى من حطام حوض الروهر والمناطق الصناعية الأخرى التى تعتمد مثلنا فى الأوقات العادية على ما تستورده من كميات ضخمة من المواد الغذائية » .

ولما كان المستر ايدن فى واشنطن ، فقد وافق تماما على آرائى التى بعثت بها برقيا اليه ، ولكن رد المستر ترومان ، لم يتقدم بنا خطوة واحدة الى الأمام ، فقد اقترح أن تنسحب قوات الحلفاء ، من المناطق المتفق على احتلالها فى المانيا والنمسا ، عندما تسمح الأوضاع العسكرية بهذا الانسحاب .

وكان هتلر يفكر فى أثناء ذلك فى المكان الذى يجب أن يقف فيه وقفته الأخيرة ، وكان حتى العشرين من ابريل لا يزال يفكر فى مغادرة

برلين « واللجوء » الى حصنه فى الجنوب فى جبال الألب البافارية ، وقد عقد فى ذلك اليوم اجتماع شهده كبار القادة النازيين ٠

ولما كانت الجبهة الألمانية المزدوجة فى الشرق والغرب ، قد أصبحت معرضة للانقطاع والانشطار شطرين بسبب اندفاع الحلفاء من الناحيتين فقد وافق على اقامة قيادتين منفصلتين ، وعهد الى الاميرال دونتس بأن يتولى المسئولية العسكرية والمدنية فى الشمال ، وأن يكون مكلفا باعادة مليونى لاجىء ألمانى من الشرق الى الأراضى الألمانية ، أما فى الجنوب فقد تقرر أن يتولى الماريشال كيسلرنج قيادة ما تبقى من الجيوش الألمانية ؛ كما تقرر أن يشرع فى تنفيذ هذه المخططات عقب سقوط برلين ٠

وفى الثانى والعشرين من ابريل ، اتخذ هتلر قراره الأخير والخطير بالبقاء فى برلين حتى النهاية ، وفى الحال أتم الروس تطويق العاصمة بعد أن فقد الفوهرر كل قدرة على السيطرة على الأحداث ، وقد أعلن لمن تبقى من الزعماء النازيين معه بأنه سيموت فى برلــــين ، وكان جورنج وهملر قد غادرا برلين بعــد مؤتمر العشرين من ابريل ، وقد طــافت برأسيهما أفكار التفاوض لعقد الصلــح واتجه جورنج الى الجنــوب وافترض ان هتلر قد تنازل عن سلطاته ببقــائه فى برلين وقد طلب منه تأكيدا رسميا بأن يكون خليفته ، وكان رد هتلر ، أن طرده من جميــع مناصبه ، وبعدها وقع أسيرا هو ومائة من كبار قادة الســلاح الجوى الألمانى فى أيدى القوات الأمريكية ٠

ولم يبق مع هتلر من كبار شخصيات العهد الا جوبلز وبورمان حتى النهاية ، وكانت القوات الروسية ، قد بدأت تقاتل فى شوارع برلين ، وفى الساعات الأولى من صباح التاسع والعشرين من ابريل كتب وصيته الأخيرة ، واستمر يؤدى اعماله العــادية فى الملجــأ الموجود تحت دار المستشارية الى أن وصلته الأنباء عن نهاية موسولينى ، وبعــد أن تناول غداءه فى اليوم الثــلاثين صافح أفراد حاشيته ، ثم انسحب الى غرفته الخاصة ٠ وانتحر بمسدسه ، وكانت بجواره ايفابراون ــ التى كان قد تزوجهــا سرا ــ بعــد أن تناولت السم وتم احراق الجثتين فى باحة المستشارية ، وكانت نهاية مؤلمة للرايخ الألمانى ٠

هذا ، وقد عقد من تبقى من القادة النازيين مؤتمرا أخيرا ، وحاولوا التفاوض مع الروس ، الا أن جوكوف طلب الاستسلام بلا قيد ولا شرط وفى الحال اختفى بورمان دون أن يترك أثرا ، وقتل جوبلز أولاده الستة بالسم ، ثم أمر رجال حرسه باطلاق النار عليه وعلى زوجته ، ووقــع من تبقى من رجال مركز قيادة هتلر اسرى فى أيدى الروس ٠

وصلت الى الأميرال دونيس تلك الليلة البرقية التالية :ــ

« لقد عينك الفوهرر ، أيها الاميرال الأكبر ، خلفــا له ، بدلا من ماريشال الرايخ السابق جورنج ، وسيصلك الخطاب الرسمى ، اذ هــو فى الطريق اليك ، وعليك أن تتخذ فورا جميع الاجراءات التى يتطلبهــا الموقف ، بورمان ٠ » ٠

وكان دونتيس على اتصال بهمار ، وقد سيطرت الفوضى ، فأخذ يعد العدة لتنظيم أمر الاستسلام ·

أما هملر ، فكان قد ذهب الى الجبهة الشرقية وأخذ يجرى اتصالات شخصية موعزا بها مع الحلفاء الغربيين ، مؤملا الوصول الى صلح منفرد منذ عدة أشهر ، وقد جدد الآن المحاولة عن طريق الكونت برنادوت رئيس الصليب الأحمر السويدى ولكن عروضه رفضت كلها فاختفى ولم يسمع عنه شيء ، الى أن قبض عليه متنكرا وعند ذلك تناول قارورة من سم السيانيد فمات لتوه ·

اما نهاية المسرحية فى الشمال الغربى فكانت أقل اثارة ، فقد وصلت أنباء الاستسلام فى ايطاليا فى الثانى من مايو ، وكانت قواتنا قد وصلت الى لوبيك الواقعة على البلطيق ، واتصلت بالروس ، فقطعت خط الرجعة على القوات الالمانية الموجودة فى الدانيمارك والنرويج ، ووصلنا فى الثالث من مايو مدينة همبورج دون مقاومة ، واستسلمت الحامية دون قيد أو شرط ، وبعد ذلك وصل وفد المانى الى مقر قيادة مونتجمرى فى لونبرج هيث ، برئاسة الاميرال فريدبرج الذى حاول الوصول الى اتفاق باستسلام يشمل القوات الالمانية فى الشمال التى تواجه الروس أيضا ، وقد وقع وثيقة الاستسلام لجميع القوات الالمانية فى شمال غربى المانيا وهولندا والجزر وشلزويج هولشتين والدانمارك ·

وتوجه فريدبرج الى مقر قيادة أيزنهاور فى ريمز حيث انضم اليه الجنرال يودول فى السادس من مايو ، الذى أصر على استسلام كامل ، وقد وقع فريدبرج وثيقة الاستسلام الكلى فى صباح السابع من مايو ، كما وقع عليها اللفتنانت جنرال بيدل سميث والجنرال بودل وشهد عليها قائدان «فرنسى وروسى» ، وبذلك أوقفت جميع الاعمال الحربية فى منتصف ليل الثامن من مايو ، وتم التصديق الرسمى من قبل القيادة العليا الالمانية فى برلين طبقا للترتيبات التى وضعها الروس فى التاسع من مايو ، ووقع الوثيقة قائد عام القوات الجوية بندر بالنيابة عن أيزنهاور والماريشال جوكوف بالنيابة عن الروس والماريشال كاتيل بالنيابة عن المانيا ·

وعندما أصدر دونتيس أوامره بالاستسلام كانت هناك تسع واربعون غواصة فى عرض البحر ، وقد استسلم نحو من مائة غواصة فى الموانى ، فى حين قام البحارة الالمان بتخريب نحو من مائتين وعشرين غواصة قبل الاستسلام · ولا ريب أن هذه الارقام تقوم دليلا على اصرار المانيا فى جهودها وعلى مدى احتمال سلاح الغواصات الالمانى ، كما خسر الالمان فى ثمانية وستين شهرا من القتال سبعمائة وواحدة وثمانين غواصة

وقد غرق فى الحرب العالمية الاولى عن طريق الغواصات وحدها ما حمولته أحد عشر مليونا من الاطنان من البواخر ، فى حين اغرقت الغواصات فى الحرب الكونية الثانية بواخر حمولتها أربعة عشر مليونا ونصف المليون من الاطنان · واذا أضفنا الخسائر الناتجة عن أسباب أخرى تبين لنا أن مجموع الخسائر فى البواخر بلغت فى الحرب الاولى اثنى عشر مليونا وسبعمائة وخمسين الفا من الاطنان ، فى حين بلغت فى الحرب

الثانية واحدا وعشرين مليونا ونصف المليون من الاطنان ، وقد تحمل البريطانيون ستين فى المائة من هذه الخسائر فى الحرب الاولى وأكثر من خمسين فى المائة فى الحرب الثانية ٠

وبعد استسلام العدو بلا قيد أو شرط ، احس الظافرون والخاسرون على حد سواء ، براحة لا توصف ، أما بالنسبة الينا فى بريطانيا والامبراطورية البريطانية ، اذ كنا الوحيدين الذين خضنا الحرب من أول يوم فيها حتى آخر يوم ، فلقد كان هناك معنى لانتهاء الحرب ، يفوق المعنى الذى يحمله بالنسبة لأقوى حلفائنا وأكثرهم بسالة ٠

وعندما طلب الى ، أن أتحدث الى الأمة وجهت اليها الكلمة التالية :

« كم كان بودى أن أبلغكم الليلة ، أن جميع متاعبنا ومشكلاتنا قد انتهت ولو كان فى استطاعتى ابلاغكم ذلك لكان فى امكانى أن أنهى خدمتى التى استمرت خمس سنوات ، ولكن أرى لزاما على ، أن أحذركم كما حذرتكم من قبل عندما تسلمت هذه الاعباء ، بأنه ما زال أمامنا الكثير لنفعله ، وان عليكم أن تستعدوا لجهود أخرى بدنية وعقلية ولاحتمال تضحيات ثابتة فى سبيل القضايا العظيمة ، فعليكم الا تضعفوا ولا تهنوا بأى شكل من الاشكال ، فى يقظتكم وحذركم وانتباهكم ، ومع أن افراح الاعياد ضرورية للروح الانسانية ، الا أنه يجب أن تضفى عليها القوة والمرونة ، لكى يعود كل رجل وامرأة الى العمل الذى يجب أن يعمله ٠

فما زال علينا فى القارة الأوروبية أن نتأكد من أن الاهداف النبيلة والبسيطة التى خضنا غمار الحرب من أجلها لن يكون مصيرها التجاهل فى الأشهر التى تلى النصر ، وان كلمات الحرية والديموقراطية والتحرير لن تفقد معانيها الحقيقية كما فهمناها ، ولن يكون كبير جدوى من عقاب الهتلريين على جرائمهم اذا لم يقم حكم القانون والعدالة فى أوروبا ، واذا قدر للحكومات الجماعية أو البوليسية أن تحل محل الغزاة الالمان ٠

اننا لا نطلب غنما لأنفسنا ، ولكننا نرى لزاما علينا أن نتأكد من أن المثل التى حاربنا من أجلها ، ستلقى ما يجب أن تلقاه من اعتراف على مائدة الصلح ، عملا لا قولا ، وعلينا أن نبذل كل جهد لنرى المنظمة العالمية التى تقوم الأمم المتحدة الآن بخلقها فى سان فرانسيسكو لن تصبح مجرد اسم لا عمل له ، ولن تغدو درعا للأقوياء ، وأضحوكة للضعفاء ، وعلى المنتصرين أن يرجعوا الى قلوبهم ، وأن يكونوا جديرين عن طريق شرفهم بتلك القوى الهائلة التى يحملونها فى أيديهم ٠

« وعلينا الا ننسى أبدا أن هناك اليابان على الرغم من قوتها المنهارة ، وضعفها ، تمثل مائة مليون من الناس ، لا يرى المحاربون منهم فى الموت مايفزع أو يخيف ، وليس فى وسعى فى هذه الليلة أن أحدد لكم الوقت أو الجهود التى سنحتاج اليها لارغام اليابانيين على اصلاح ما ارتكبوه بغدرهم وفظاعتهم ، فنحن ، مثل الصين التى احتملت ما احتملته من أضرار فظيعة دون أن يطرأ عليها وهن أو ضعف ، ونحن ملتزمون بأحكام الشرف وروابط الولاء الأخرى للولايات المتحدة أن نمضى فى هذه الحرب العظيمة ،

فى ذلك الطرف النائى من العالم الى جانبها دون ضعف أو تردد ، وعلينا أن نتذكر أن استراليا ونيوزيلندا وكلتا كلها مهددة تهديدا مباشرا من هذه القوة الشريرة ، وهذه الدول من ممتلكاتنا المستقلة تهب لنجدتنا فى أحلك ظروفنا ، وعلينا ألا نترك أية مهمة تتعلق بسلامتها ومستقبلها غير ناجزة ، وساكون غير جدير بثقتكم وبكريم عواطفكم اذا لم أواصل النداء لكم قائلا : الى الامام ، دون تردد ودون خوف ، ودون لين ودون هوادة ، الى أن تكملوا واجبكم كله ، والى أن يصبح العالم كله آمنا مطمئنا وخاليا من كل شائبة » .

"بدء الانفصام"

كان القلق من المستقبل ، وغيره من مشاعر الخوف تملأ جوانحي ، وأنا أنتقل بين الجماهير المحتفلة بالنصر الذي استحقوه عن جدارة ، بعد تلك المصائب التي اجتازوها ومروا بها وبدا لمعظمهم أن خطر هتلر قد اختفى بعد أن استسلم العدو الهائل ، الذي قاتلوه أكثر من خمس سنوات دون قيد أو شرط ، وكل ما بقي هناك أمام الدول الظافرة الثلاث ، هو أن تضع سلاما عادلا ودائما تحرسه منظمة عالمية ، لكي يدخل العالم في عصر ذهبي من الرخاء والازدهار ٠

ولكن كان هناك جانب آخر من الصورة ، فاليابان لم تستسلم بعد ، والقنبلة الذرية لم تخلق بعد ، وكان العالم يعيش في اضطراب وارتباك ، فقد اختفت تلك الوشيجة العظيمة من الخطر المشترك ، التي كانت تربط بين الحلفاء ، بين عشية وضحاها ٠

اما انا فقد رأيت أن الخطر الشيوعي قد حل محل الخطر النازي ، مع فارق واحد ، هو عدم وجود روح من التحالف والزمالة ضده ، كما اختفت أيضا في الوطن أسس الوحدة القومية التي قامت عليها الحكومة القومية ، في أثناء الحرب قوية ثابتة ، ولم يكن في وسعي أن أخلص عقلي من الخوف ، لأن جيوش الديموقراطية الظافرة ستتفرق عما قريب ، مع ان أقسى التجارب والاختبارات وأكثرها حقيقة ووقعا ما زالت امامنا ٠

وكان همي الأول منصرفا الى عقد اجتماع آخر للثلاثة الكبار ، وكنت آمل في ان يأتي الرئيس ترومان الى هذا الاجتماع عن طريق لندن لنلتقي اولا ، وكانت هناك كما سيرى القارىء ، آراء مخالفة تماما ، تضغط بها جهات ذات نفوذ في واشنطن على الرئيس الجديد ، وكان يقال ان على الولايات المتحدة ، أن تكون حريصة كل الحرص ، فلا تسمح لأحد بأن يجرها الى خلاف أو عداء مع روسيا السوفييتية ، لأن مثل هذا العداء سيحفز المطامع البريطانية على الظهور ، ويخلق هوة جديدة في أوروبا ، وعلى السياسة الامريكية من الناحية الأخرى ، أن تقف وسطا بين بريطانيا وروسيا ، كوسيط صديق أو كحكم ، وأن تحاول التقليل من خلافاتهما حول بولندا والنمسا ، وأن تساعد على تهيئة الاوضاع والوصول بها الى سلم هادىء سعيد ، لتمكين القوات الامريكية من التركيز ضد اليابان ، ويبدو أن ضغط هذه الآراء على ترومان كان قويا للغاية ، ولم يكن في وسعي بطبيعة الحال ، أن اقدر القوى التي تعمل في الجهاز الحساس لأقرب حلفائنا الينا ، وان كنت قد شعرت بها ، وكان في وسعي فقط أن أحس بالمظاهر الهائلة للاستعمارية الروسية السوفييتية وهي تقتحم طريقها في أراض لا حول لها ولا قوة ٠

وقد أبرقت للرئيس بعد ثلاثة أيام من استسلام المانيا أقترح عليه دعوة ستالين الى مؤتمر ، وأضفت أقول : « وآمل حتى يعقد هذا المؤتمر املا كبيرا ، ألا تنسحب الجبهة الأمريكية عن الخطوط التكتيكية المتفق عليها الآن » • وقد رد الرئيس فورا ، بأنه يؤثر أن يصدر اقتراح الاجتماع عن ستالين ، وأنه يأمل في أن يتمكن سفيرانا في موسكو من اقناعه بذلك. كما أعلن المستر ترومان بعد ذلك أن علينا أن نذهب أنا وهو الى المؤتمر منفردين ، تجنبا لاثارة الشــكوك في نفس ستالين عن تكتلنا ضـده واعرب عن أمله في أن يزور انجلترا بعد انتهاء المؤتمر اذا ســمحت له ظروفه وواجباته في أمريكا بمثل هذه الزيارة ، وقد ادركت فورا ماتنطوى عليه هذه البرقية من اختلاف في وجهات النظر •

وقد بعثت الى الرئيس ترومان بالبرقية التالية وارى ان يحــكم القارىء على وعلى آرائى ، على ضوء ما ورد فيها :

« انني اشعر بقلق عميق ، من جراء الوضع في أوروبا ، وقد علمت أن نصف القوة الجوية الامريكية في أوروبا قد انسحب الى مسرح العمليات بالمحيط الهادى ، والصحف ملأى بأخبار تحــركات الجيوش الامريكيــة العظيمة خارجة من أوروبا ، ومن المحتمل أن تمر جيوشنا وفقا لترتيبات سابقة ، في مرحلة مماثلة من التخفيض الواضــح ، وسينسحب الجيش الكندى ، أما الجيش الفرنسى فضعيف ، ومن الصعب التعامل معه ، وفى وسع كل انسان ، أن يرى أنه بعد وقت قصــير جدا ، ستختفى قواتنا المسلحة من القارة الأوروبية ، باستثناء قوات صغيرة سيحتفظ بهــا للسيطرة على المانيا ••

ولقد سعيت دائما لتوثيق أواصر الصــداقة مع روسيا ، ولكننى اشعر ، كما تشعر أنت ، بالقلق العميق من سوء تصويرهم لقرارات يالتة ومن موقفهم تجاه بولندا • ومن نفوذهم الطاغى فى البلقان كله باستثناء اليونان ، ومن المشكلات التى يخلقونها فى فينا ، ومن الدمج بين السيطرة الروسية ، وبين البلاد التى تقع تحت احتلالهم أو اشرافهم ، ومن الأساليب الشيوعية التى تتبع فى بلاد عدة ، وفوق ذلك كله قدرتهم على الاحتفاظ بجيوش ضخمة على هذا النحو فى الميدان الى مثل هذا الأمد الطـويل ويجوز لى أن أتساءل : ماذا سيئول اليه الوضع بعد سنة أو سنتين عندما تذوب الجيوش البريطانية والامريكية من القــارة ولا تكون الجيــوش الفرنسية قد نظمت أمرها بعد على نطاق واسع ، فلا تبقى لنا سوى بعض فرق معظمها فرنسى ، تواجه مائتين ، أو ثلاثمائة فرقة آثرت روسيا الابقاء عليها فى الخدمة الفعلية ؟ ••

ان ستارا حديديا يسدل الآن على الجبهة الروسية ، فنحن نجهــل ما يدور وراء هذا الستار ، ولا يبدو أن هناك مجالا للشك فى أن جميــع المناطق الواسعة الى الشرق من خط لوبيك ـ تريستا ـ كورفر ، ستصبح بعد قليل فى أيدى الروس ، ومن الواجب أن نضيف الى هــذه المنطقة المساحات الشاسعة التى احتلتها الجيوش الامريكية بين ايزناخ ونهــر الألب ، والتى ستنسحب منها بعد أسابيع ، لتأتى الجيوش الروســية

فتحتلها بعد انسحاب الامريكيين ، ولذلك فانه يجب على الجنرال أيزنهاور أن يتخـــذ أقصى ما يمكنه من الترتيبـات للحيلولة دون فرار جماعى من جانب السكان الالمان فى اتجاه الغرب عندما يشرع « الموسكويون » فى هذا الزحف الضخم الجديد الى أواسط أوروبا ، وهكذا فان الستار الحـديدى سيعود ليسدل من جديد على مئات الأميال من الأراضى وهكذا سيقوم حزام عريض يفصل بيننا وبين بولندا ..

وفى هذه الأثناء سينحصر تفكير شـــعبينا فى توقيع العقوبات عـلى المانيا ، التى تحطمت وتدمرت ، وسيكون فى وسع الروس بعد وقت قصير أن يتقدموا اذا شاءوا الى مياه بحر الشمال والمحيط الاطلنطى .

وأرى لزاما علينا ، أن نصل فورا الى تفاهم مع روسيا ، أو نجـــد لنا معها حلا ، وذلك قبل أن تضعف جيوشنا ، أو تنســحب الى مناطق الاحتلال المتفق عليها سابقا ، ولا يمكن أن يتم هذا الا عن طريق اجتماع شخصى ، وأكون جد ممتن لو بعثت الى برأيك ومشورتك ..

وبالطبع يمكننا أن نفترض أن روسيا ستسلك ســـلوكا منزها عن الخطأ ، ومثل هذا السلوك سيضمن حتما أحسن الحلول المناسبة ، وأود أن أختصر رسالتى فأقول : ان قضية تسوية الامور مع روســـيا ، قبل أن نخفض قواتنا ، هى من الاهمية بحيث تتضاءل أمامها جميع القضايا » .

وفى الثانى والعشرين من مايو ابرق الى الرئيس يقول : انه قـــد أوفد المستر جوزيف ديفيز ، ليقابلنى قبل انعقاد المؤتمر الثـــلاثى ، وليبحث معى بعض القضايا التى يؤثر عدم معالجتها عن طريق البرقيات .

وقد كان المستر ديفيز سفيرا لأمريكا فى موسكو قبل الحرب ، وكان من المعروف عنه انه من المؤيدين للنظام القـــائم ، وأعددت الترتيبـــات لاستقباله فورا ، وقد قضى معى ليلة السادس والعشرين فى تشيكرز ، ودار بيننا حديث طويل ، وكان أهم ما قاله ان على الرئيس أن يجتمع بستالين أولا فى مكان ما فى أوروبا ، قبل أن يجتمع الى ، وقد أدهشنى هـــذا الاقتراح كل الدهشة حقا ، كما لم يكن تعبير « التكتل » الذى استخدمه الرئيس فى رسائله السابقة قد أعجبنى ، عنـــدما كان يصف أى اجتماع أحب أن يعقده معى .

ولقد كانت بريطانيا والولايات المتحدة ترتبطان بوشائج من المبادىء والاتفاق على السياسات فى نواح واتجاهات عدة ، وكنا معا على خــــلاف عميق مع السوفييت فى العديد من القضايا المهمة ، ولذا فان عقـــد أى اجتماع بين الرئيس الأمريكى ورئيس الوزارة البريطانية للبحث والنقاش على ضوء هذه الأسس المشتركة ، كما كان يجرى دائما فى أيام الرئيس روزفلت ، لم يكن ليستحق تسمية شبيهة بهذه التسمية التى تطلق على « التكتل » لمقاصد الشر وتاليف العصابات ، ومن الناحية الثانية ، فان تجاوز الرئيس الأمريكى لبريطانيا العظمى ، واجتـــماعه برئيس الدولة السوفييتية التى كنا نحن والأمريكيون متحـــدين تجاهها ــ ولم يكن فى وسعى ، تحت أى ظروف ، أن أوافق عليه ــ يمكن اعتباره اساءة ، مهمـــا

كانت غير مقصودة ، وعارضت في مجرد الفكرة القائلة بأن الخــــلافات القائمة هي بين بريطانيا وروسيا ، وأكدت أن الولايات المتحدة يجب أن تكون معنية بهذه القضايا عنايتنا بها ، وقد أوضحت هذه النقطة بجـــلاء للمستر ديفيز في حديثي معه ، وتجنبا لأى سوء فهم أو تفسير في هـــذا الموضوع ، أعددت له وثيقة رسمية تضمنت وقائــــع الحديث الذى دار بيننا ، وقد قرأ الرئيس هذه الوثيقة بروح من الود والتفاهم .

وكان الرئيس في الوقت الذى بعث الى فيه بالمستر ديفيز ، قــــد بعث الى موسكو المســـــتر هارى هوبكنز كموفد خاص ، ليقوم بمحاولة أخرى للوصول الى حل عملي لمشكلة بولندا ، وقد استقبل بحفاوة وترحيب بالغين ، وتم لأول مرة بالفعل تحقيق بعض التقدم في طريق حل المشكلة حيث وافق ستالين على دعوة ميكولاجيك واثنــــين من زملائه في لندن الى موسكو للتشاور معهما ، متمشيا في ذلك مع اتفاقنا في يالتة ، كما وافق أيضا على دعوة عـــــدد من البولنديين المهمين ، من غير رجال حكومة لوبلين من داخل بولندا نفسها .

وقد بعث الرئيس ببرقية قال فيها ، انه يشعر بأن هـــذه الخطوة تعد مرحلة إيجابية مشجعة في المفاوضات ، كما تبـــين ان معظم التهم الموجهة الى الزعماء البولنديين المعتقلين هى حيازة أجهزة ارسال لاسلكية غير مشروعة وتشغيلها ، وأخذ هوبكنز يواصل الضغط على ستالين لمنحهم العفو ، حتى تدور المفاوضـــات في جو ودى ملائم ، وقد طلب الى أن أحث ميكولاجيك على قبول دعوة ســـتالين ، فأقنعت ميكولاجيك بالذهاب الى موسكو ، وتم في النهاية تشكيل حكومة بولندية مؤقتة ، وتم الاعتراف بها من قبل بريطانيا والولايات المتحدة في الخامس من شهر يونيو .

ولما كنا لا نزال اليوم أبعد من أى يوم مضى ، عن القيام باية محاولة حقيقية ونزيهة للحصول على ارادة الشعب البولندى عن طريق انتخابات حرة ، وكانت لا تزال هنـــاك بقية من أمل ، في أن يؤدى اجتماع الكبار الثلاثة المنتظر الآن في كل لحظة الى الوصول الى تسوية كريمة .

ولما أبلغنى الرئيس ترومان في الأول من شهر يونيو بأن الماريشال ستالين موافق على عقد اجتماع لمن يسميهم « الثلاثة » على أن يتم في برلين حوالى الخامس عشر من يوليو ، فقد أجبته فورا باستعدادى للذهاب على رأس وفد بريطاني الى برلـين ، ولكننى أكدت له ان الموعد الذى يقترحه متأخر جدا بالنسبة للقضـــايا التى تتطلب سرعة البت ، وقلت : اننـــا سنسيء الى الآمال التى يعلقها العالم علينا ، والى الوحدة العالمية ، كمـــا أبرقت أيضا الى الرئيس أقول :ـ

انه على الرغم من اننى أخوض معركة انتخابات حامية الوطيس ، الا اننى لا أرى ان واجباتى في المعـــركة يمكن أن تقارن بالمهام المترتبـــة على اجتماع نعقده ثلاثتنا ، واذا لم يكن الخامس عشر من يونيو مناسبا ، فلماذا لا نجتمع في اليوم الأول أو الثانى أو الثالث من يوليو ، وقد رد على المســـتر ترومان يقول : أنه بعـــد دراسة الأوضاع كلها تبين له أن

الخامس عشر من يوليو ، هــــو اقرب موعد يستطيع أن يحضر فيه الى الاجتماع ، كما ان ستالين لم يكن راغبا فى عقد الاجتماع فى موعد قريب.

وكان السبب الرئيسى الذى حدانى للاسراع فى الاجتماع ، هو ان يقع قبل انسحاب الجيش الأمريكى من الخط الذى وصل اليه فى القتال الى المنطقة التى خصصت للاحتــلال الأمريكى بموجب الاتفاق السابق ، وكنت أخشى أن تتخذ واشنطن قرارا بتسليم هـــذه المنطقة الهائلة التى تبلغ أربعمائة ميل طولا ومائة وعشرين ميلا عرضا ، وتضم عدة ملايين من الألمان والتشيكيين ، وان مجرد التخلى عن الأرض سيوســع الفجوة بيننا وبين بولندا ، وسيقضى على كل سلطة أو قدرة لنا على تغيير مصـيرها ، فالموقف المتبدل الذى تقفه روسيا منا ، والخرق المســتمر للاتفاق الذى توصلنا اليه فى يالتة ، ومحاولة القفز على الدانمـــارك التى أحبطهـــا مونتجمرى لحسن الحـــظ فى اللحظة الأخيرة ، والزحف فى النمسا ، وضغط الماريشال تيتو المصحوب بالتهديد فى تريستا ، كلها أمور بدت لى ولمستشارى انها قد غيرت الأوضاع بالنسبة لتخطيط مناطق الاحتلال التى اتفقنا عليها قبل عامين ، وأصـــبح من الواجب البحث فى جميـــع هذه القضايا ككل الآن ، قبل أن تنسحب القـــوات البريطانية والأمريكية وقواتهما الجوية بفعل التسريح ، ومطالب الحرب اليابانية الشديدة ، كما ان الوقت صالح الآن لتسوية عامة .

وكنت أرى ان التخلى عن قلب المانيا كلها ، « بل قلب اوروبا وحجر الزاوية فيها ، بمجرد عمل فردى من جانب واحد » قـرار يعتبر على جانب كبير من الخطورة والارتجال ، واذا كان لا بد من هـــذا التخلى فيجب ان يكون جزءا من تسوية عامة ودائمة ، والا فاننا ســـنذهب الى بوتسدام وليست فى أيدينا أوراق نساوم عليها ، وبذلك تتعرض جميع آمال السلام فى أوروبا للخطر ، وكان كل ما فى وسعى أن افعله ، هو أن أرجو الاسراع فى موعد اجتماع الثلاثة ، فاذا فشلت فى ذلك ، فانى أعمــل على تأجيل الانسحاب الى أن يتم بحث جميـــع المشـــكلات دفعة واحدة على أسس متكافئة .

ترى كيف أضحت الحالة بعد ثمانى سنوات ؟ لقد امتد خط الاحتلال الروسى فى أوروبا من لوبيك الى لينز ، وأصبحت تشيكوسلوفاكيا كلها ضمن الاطار السوفييتى ، كما أصـــبحت دول البلطيق وبولندا ورمانيا وبلغاريا دويلات تابعة يحكمها نظـــام شـــيوعى جماعى ، وقد خرجت يوغوسلافيا على هذا النطاق ، ولم نتمكن الا من انقـاذ اليونان وحدها ، وهكذا سمحنا فى لحظة النصر باختفـــاء تلك الفرصة التى كانت خير فرصنا ، بل آخر فرصة لنا للوصول الى سلام عالمى دائم ، وقد أرسلت للرئيس فى اليوم الرابع من يونيو البرقية التالية ، التى اعتقد أن هناك اليوم من يستطيع مناقشتها أو عدم تأييدها قلت فيها :ـ

« اعتقد انك مدرك السبب الذى يحملنى على التلهف لعقد اجتماعنا الثلاثى فى موعد مبكر ، ولنقل اله الثالث أو الرابـــع من يوليو ، واننى لأنظر نظرة متشائمة الى احتمال انســـحاب الجيش الأمريكى الى خط

الاحتلال فى القطاع الأوسط ، بحيث تتقدم القـــوة السوفييتية الى قلب أوروبا الغربية ، وبحيث يسدل ستار حديدى بيننا وبين كل ما يقـع الى المشرق من أراض ، وكنت آمل أن أمثل هــــذا الانسحاب ، اذا كان لابد منه يجب أن يصاحب تسوية الكثير من الأمور العظيمة التى يقـــوم على أساسها السلام العالمى ، ولم تتم حتى الآن تســوية أى شىء مهم ، وأرى اننى واياك نتحمل المسئولية الكبرى بالنسبة الى المستقبل ، ولذا فمازلت آمل فى تقديم موعد الاجتماع » ٠

وقد رد على المستر ترومان فى الثانى عشر من يونيو يقول :ــ ان الاتفاق الثلاثى المتعلق باحتلال المانيا والذى أقره الرئيس روزفلت بعـد مشاورات تفصيلية ودرس طويل معى ، يجعل من المســتحيل تأجيل انسحاب القوات الأمريكية من المنطقة الســوفييتية حتى تتم تســوية المشكلات الأخرى ، وليس فى امكان مجلس اشراف الحلفاء أن يبدأ عمله الا بعد اتمام هذا الانسحاب ، كما ان الحكم العسكرى الذى يباشره القائد الأعلى للحلفـــاء يجب أن ينتهى دون تأخير ، وأن توزع مسئولياته بين ايزنهاور ومونتجمرى ، واضاف الرئيس يقول : ان مستشاريه قد أفهموه بأن تأجيل الانسحاب الى ما بعد يوليو ، سيضر بعلاقات أمريكا مــع السوفييت ، ولذلك فهو يقترح ارسال رسالة الى ستالين ، كما اقترح أن نصدر الأمر فورا الى جيوشنا بالانسحاب الى مناطق احتلالها المقررة ٠

وكان الرئيس على استعداد لاصدار أمره الى القوات الأمريكية للبدء فى الانسحاب من المانيا فى الحادى والعشرين من يونيو ، وأن يعد القادة العسكريون الترتيبات اللازمة لاحتلال المناطق المعينة لهم فى برلين ، وأن يؤمنوا حرية الاتصال عن طريق السكة الحديد والطرق العادية والجوية من فرانكفورت وبريمن بالنسبة للقوات الأمريكية ، كمـا انه فى الامكان استكمال الترتيبات فى النمسا بصورة أسرع وأكثر سهولة ، وذلك بجعل القادة المحليين مسئولين عن تحديد مناطق احتـــلالهم فى البـــلاد وفى العاصمة ، وألا يعودوا الى حكوماتهم الا فى القضايا التى يعجزون هم عن حلهـــا ٠

وكانت هذه الرسالة بمثابة نذير شر مستطير لى ، ولكن لم يكن فى وسعى غير الاذعان ٠

ويجب ألا ننسى ان المستر ترومان لم يكن له شان ولم يستشر فى خطة تحديد مناطق الاحتلال الأصلية ، وكانت القضية بالنســبة اليه ، بعد تسلمه مدة الرياسة هى ، هل يجـــوز له أن ينقض سياسة اتفقت عليها الحكومتان البريطانية والأمريكية فى عهد سلفه العظيم ؟ وليس لدى شك ، فى أن مستشاريه السياسيين والعسكريين قد أيدوه فى موقفه وكانت مسئوليته فى هذه اللحظة محصـــورة فى أن يقرر ما اذا كانت الأوضاع قد تبدلت بصورة جذرية بحيث يتطلب تبدلها اجراء مغايرا كل التغيير يمكن أن يتهم بنقض العهود والمواثيق ٠

وقد بدأت الجيوش البريطانية والأمريكية فى اليوم الأول من شهر يوليو ، انسحابها الى المناطق المخصصة لها ، تتبعها جمـوع حاشدة من

اللاجئين الألمان ، وبذلك ثبتت روسيا السوفييتية اقدامها فى قلب أوروبا ، وكان هذا أسوأ تاريخ فى مستقبل الجنس البشرى ٠

وبينما كانت جميع هذه الأمور تسير على قدم وساق ، كنت مشغولا الى قمة رأسى فى المعركة الانتخابية التى اشتد وطيسها فى الاسبوع الأول من يونيو ، وكان هذا الشهر والحالة هذه ، من أقسى الفترات التى مرت على ، حيث بدأت الرحلات المجهدة بالسيارة الى مدن انجلترا واسكوتلنده الكبيرة ، مع القاء ثلاث خطب أو أربع كل يوم على جماهير كبيرة يبدو عليها الحماس ، واعداد أربع اذاعات حسنة الصيغة والاقناع مما كانت تستنزف كل وقتى وقوتى ، وكنت أشعر طيلة الوقت ان ما حاربنا من اجله فى أوروبا قد بدأ ينهار ، كما ان الآمال فى حلول سلمية دائمة ومبكرة ، أخذت تنطوى ، وكنت اقضى الأيام فى وسط الجماهير الصاخبة ، وعند ما آوى فى الليل الى القطار الذى جعلت منه مركز قيادتى ، كان ينتظرنى عدد لا بأس به من الموظفين وسيل لا ينقطع من البرقيات ، فاضطر الى قضاء ساعات طويلة أخرى فى أعمال شاقة ٠

وقد سررت أخيرا بحلول يوم الاقتراع ، حيث تم اغلاق الصناديق وختمها بعد الانتهاء من الاقتراع ، وقد وضعت فى أماكن أمينة ، لكى تفتح بعد ثلاثة أسابيع ، بعد جمع الصناديق من جميع أنحاء العالم التى توجد بها قواتنا ٠

ولهذا فقد قررت أن أقضى أسبوعا استمتع فيه بالراحة ودفء الشمس وحرارتها قبل موعد المؤتمر ، فسافرت الى بوردو مع زوجتى وابنتى مارى ، ونزلت فى فيلا جميلة وضعها تحت تصرفى الجنرال بروتينيل فى « هنداى » على مقربة من الحدود الأسبانية ، وكنت اقضى معظم ساعات الصباح كل يوم فى قراءة قصة رائعة لكاتب فرنسى عن تاريخ هدنة بوردو ، وقصة وهران المحزنة ، ومن الغريب أننى استعدت ذكرياتى عن سنوات خمس سابقة ، وقد تعلمت من هذه القصة أشياء كثيرة لم أكن أعرفها فى حينها ، كما كنت أخرج بعد الظهر ومعى لوحاتى وأدوات الرسم الى بعض الأماكن الجذابة على نهر نيف وخليج سان جان دى لوز فأصورها ٠

وقد اقتصر عملى الرسمى فى هذه الفترة على تصريف بعض البرقيات التى تتناول مؤتمرنا المقبل ، وقد حاولت ما وسعنى من جهد فى أن أبعد الخلافات الحزبية عن تفكيرى ، ومع ذلك يجب أن أعترف ان سر صناديق الاقتراع وما تضمه ، كان يطغى على تفكيرى ، وما كنت لأستطيع ابعاد هذه الأفكار عنى ، الا عندما أعد لوحتى وأبدأ الرسم ٠

وقد احتفى بنا أهل الباسك ، احتفاء رائعا ، فلقد عانوا فترة طويلة من الاحتلال الألمانى ، وكانوا سعداء باستنشاق نسيم الحرية من جديد ، ولم أكن فى حاجة الى اعداد أى شىء للمؤتمر ، فقد كنت أحمل فى رأسى كل شىء ، ولما كان الرئيس ترومان قد أبحر على ظهر الطراد الأمريكى أوغسطا ، وهو الطراد الذى استقله الرئيس روزفلت عند مجيئه لاجتماعنا فى الأطلنطى عام ١٩٤١ ، فقد أخلت السيارة فى الخامس عشر من يوليو الى مطار بوردو ، حيث اقلتنى طائرتى « سيدة الأجواء » الى برلين ٠

‹‹القنبلة الذرية››

وصل الرئيس ترومان الى برلين فى اليوم الذى وصلت فيه اليها ، وقد كنت متلهفا للتعرف عليه ، وكانت علاقاتى الودية معه على الرغم من بعض الخلافات ، قد اقيمت عن طريق المراسلة ، فقمت بزيارته فى صباح اليوم التالى لوصولنا ، وقد تأثرت بمـــا يبدو عليه من اشراق ودقة فى الحديث ، وقدرة على الحسم فى المواقف ٠

وقد قام كل منا منفردا بجولات فى المدينة ، فى اليـــوم التـــالى لوصولنا ، ولم تكن المدينة الا حطاما من الخرائب ، ولم يكن قد صـــدر بيان من زيارتنا ولذلك فقد كانت الشوارع خالية الا من المارة العاديين ، الا أننى رأيت حشدا من الناس فى الساحة الواقعة أمام دار المستشارية ، وعندما نزلت من السيارة ومشيت بين هؤلاء الناس ، هتف لى الجميع ، باستثناء رجل عجوز واحد ، هز رأسه هزة تنـــطوى على عدم الموافقة ، وكانت كراهيتى لهم قد زالت باستسلام ألمانيـــا ، وقد تأثرت تأثرا بالغا بمرآهم ، وبما يبدو على وجوههم من انهـــاك وتعب ، وعلى أجسامهم من ملابس رثة مهلهلة ، ودخلنا دار المستشارية ، وقضينا وقتا طويلا نجوب ابهاءها وقاعاتها المحطمة ، كما رأينا الملجأ الذى أعده هتلر لنفسه للاحتماء فيه من الغارات الجوية ، كما رأينا الغرفة التى انتحر فيها هو وزوجته ٠

وكان المسلك الذى اتبعه هتلر ، أكثر ملاءمة لنا من المسلك الذى كنت أخشى أن يتبعه ، فقد كان فى وسعه فى أى وقت من الأشهر الأخيرة من الحرب أن يطير الى انجلترا وأن يسلم نفسه قائـــلا : « افعلوا بى ما تشاءون ، ولكن اتركوا شعبى الذى لم يكن له حول أو طول » ، ولاريب عندى فى أنه فى مثل هذه الحالة كان سيشترك مع مجرمى نورمبرج فى مصيرهم ، لأن المبادىء الخلقية للحضارة الحديثة تقضى بأن يعدم المنتصرون قادة الدول المنهارة فى الحرب ، ولا ريب فى أن مثل هذه المبادىء ستدفع القادة فى أى حرب مقبلة الى المضى فى القتال الى النهـــاية ، فمهما ضحوا بأرواح جديدة فان مصيرهم واحد ، وفى مثل هذه الحالة فان جمـــاهير الشعب التى لا شأن لها فى شن الحروب أو انهائها هى التى تدفع الثمن الاضافى ٠

أما الرومان فقد كانوا يتبعون سبيلا مغايرا ، ولا شك فى أن الفضل فى انتصاراتهم يعود الى ماتميزوا به من رأفة بقدر ماتميزوا به من قوة ٠

وفى السابع عشر من يوليو ، وصلت أنباء هزت العالم بأسره ، فقد قام ستمسون بعد ظهر ذلك اليوم بزيارة مسكنى ، وبسط أمامى ورقة كتب

عليها « ولد الطفل بصورة مرضية » وتبينت من حديثه ان شيئا بارزا قد وقع ، واستمر يقول « ان هـذه الجملة تعني ان التجربة التي أجريت في صحراء المكسيك قد نجحت ، وان القنبلة الذرية أصبحت أمرا واقعا » ، وعلى الرغم من أننا كنا نتابع هذا البحث مما يصل الينا من أنباء متفرقة ، الا انني لم أعرف من قبل على الأقل بموعد التجربة الحاسمة ، كمـا انه لم يكن في وسع أي عالم مسئول أن يتكهن بما قد يقع عندما تجرى تجربة أول تفجير ذرى ، هل هي عديمة الجدوى أو انها مبيدة وقاتلة ؟

لقد عرفنا الآن انه قد تمت « ولادة الاطفال » بشكل مرضى ، لكن ليس في وسع أي انسان حتى الآن تقدير النتائج العسكرية الفورية لهذا الاكتشاف ، كما لم يقم أي انسان حتى الآن بتقدير أي شيء عنها ٠

ووصلت في الصباح التالي ، طائرة تحمل وصفا كاملا لهذا الحدث العظيم ، في التاريخ البشرى ، وجاء ستمسون بالتقرير الى ، وانني أشرح الآن القصة كما أتذكرها ٠

فقد فجرت القنبلة او ما يعادلها على قمة « بيلون » ـ عمارة فرعونية ارتفاعهامائة قدم ـ وقد أخليت منطقة دائرية نصف قطرها عشرة أميال من كل انسان ، ووقف العلمـاء ومساعدوهم وراء دروع ضـخمة من الأسمنت المسلح ، وملاجيء تبعد نحوا من هذه المسـافة ، وكان الانفجار مروعا ، فقد ارتفع عمـود هائل من اللهب والدخان الى مقربة من حدود المنطقة الجوية التي تحيط بأرضنا المسكينة ، وكان التخريب داخل دائرة قطرها ميل واحد كامل ، وهكذا بدت النهـاية السريعة للحرب الكونية ولأشياء أخرى أيضا ٠

وقد دعاني الرئيس للتشاور معه بعـد ذلك ، وكان معه الجنرال مارشال والاميرال ليهى ، وكنا قد وضعنا خططنا بالنسبة لليابان ، على أساس مهاجمة جزرها الأصلية بقصف جوى مرعب ، وبغزو تقـوم به جيوش هائلة ، وكنا نتوقـع مقاومة شديدة من اليابانيين الذين يقاتلون حتى الموت ، بتكريس رجال الساموراى ، لا في المعارك الحربية الضخمة فحسب ، بل في كل كهف وحفرة أيضـا ، وتصـورت منظر جزيرة أوكيناوا ، حيث آثر عدة ألوف من اليـابانيين بدلا من الاستسلام ، أن يقفوا في صف واحد ، وأن يقضوا على أنفسهم بالقنابل اليدوية بعد أن كان قادتهم قد أتموا طقوس الانتحار المعروفة بالهاراكيرى ٠

ويعنى القضاء على المقاومة اليابانية رجلا رجلا واحتلال بلادهم شبرا شبرا ، ضياع مليون أمريكي ونصف هذا العدد من البريطانيين أو أكثر منه ، هذا اذا تمكنا من ايصال هذه القوات الى بلادهم ، أما الآن فقـد اختفى هذا الكابوس المرعب ، وطلعت أمامنا صـورة بدت لنـا جميلة ومشرقة ، وهي أن تنتهي الحرب كلها بهزة أو بهزتين عنيفتين ، وفكرت لتوى ، كيف يمكن لهذا الشعب اليـاباني الذى كنت دائم الاعجـاب بشجاعته ، أن يرى في هذا الطيف من السلاح الغيبى أو فوق الطبيعى ، ذريعة تحفظ له شرفه وتحرره من التزاماته بالموت حتى آخر رجل محارب ٠

وكان هناك شيء أهم ، وهو اننا لن نحتاج الى الروس ، اذ أن نهاية الحرب مع اليابان لم تعد تعتمد على تدفق جيـــوشهم ، لتوجيه الضربة الأخيرة والحاسمة ، ولم نعد في حاجة الى أن نطلب منهم منة أو فضلا ، وأصبح في وسعنا أن نواجه مشكلات أوروبا على حقيقتها ، ووفقا لمبادىء الأمم المتحدة الواسعة ، وبدا اننا أصبحنا فجأة واقعين تحت سيطرة رغبة رحيمة في اختصار المذابح في الشرق ، وأمل أكثر اشراقا وسـعادة في أوروبا ، وعلى أى حال ، لم يكن هناك ما نضيعه في النقاش ، في هـل تستعمل القنبلة الذرية أولا تستعمل ؟ واتضح لنا أن تجنب مذبحة هائلة لا حدود لها ، وان الوصول بالحرب الى نهاية ، وبالعالم الى الســلام ، وأن مد يد الرحمة الى شعوبه المعذبة عن طريق غرض لقوة طاغية ، لاتكلف الا بعض انفجارات ، كلها أمور جاءت بعد هذه الأخطار والمتاعب ، كمعجزة من معجزات الانقاذ .

وكانت موافقة بريطانيا المبدئية على استعمال هذا السلاح ، قـــد صدرت في الرابع من شهر يوليو أى قبـــل اجراء التجربة ، أما القرار النهائى فقد أصبح الآن بين يدى الرئيس ترومان ، الذى يملك السلاح ولم يداخلنى الشك قط فيما سـيكون عليه هذا القرار ، وفى أنه كان على حق فى اتخاذه ، لكن الحقيقة التاريخية تظل قائمة ، ويجب الحـكم على ضوئها فى مستقبل الأيام ، وهى أن القرار الذى اتخذ باستخدام القنبلة الذرية لارغام اليابان على الاستسلام ، لم يكن فى يوم ما مصدر خـلاف حيث كان هناك اتفاق اجماعى وأتوماتيكى ودون حاجة الى سؤال أو نقاش حول المائدة التى كنا نجلس عليها . ولم أســمع أى اعتراض من أية جهة ، على ان الواجب يحتم علينا عدم استعمالها .

وكان السؤال الدقيق المعقد ، هو ماذا سـنقول لستالين ؟ بعد أن أصبحنا فى غير حاجة الى مساعداته فى اخضاع اليابان ، وكان ستالين قد تعهد فى مؤتمرى طهران ويالتة ، بان تهاجم روسيا السوفييتية اليابان فور هزيمة الجيش الألمانى ، وتحقيقا لهذا الوعد ، بدأت منذ أوائل مايو ، حركة نقل واسـعة ومستمرة للقوات السوفييتية الى الشرق الأقصى على سكة حديد سيبريا ، ورأينا الآن انا لسنا فى حاجة الى هـذه القوات ، وبذلك يكون ستالين قد فقد قوة المساومة ، التى كان قد استخدمها بنجاح مع الأمريكيين فى يالتة ، الا أنه كان على كل حال حليفا عظيما فى الحرب ضد هتلر ، وقد شعرنا فى هذه اللحظة أن من الواجب ابلاغه (الحقيقة الجديدة العظيمة) التى أصبحت تســيطر على الموقف دون أن نعطى له التفاصيل ، ولكن كيف ننقل اليه هذا النبأ ؟ أيكون النقــل كتابة أو شفويا ؟ وهل سيكون الابلاغ فى جلسة رسـمية أو خاصة أو فى أثناء اجتماعاتنا اليومية أو بعدها ؟ وقد اختار الرئيس أخيرا الوسيلة : فقال ، أعتقد أن من الخير أن أبلغه النبأ بعد اجتماعاتنا ، وأن أقول له اننا توصلنا الى اختراع طراز جديد من القنابل يختلف عن النوع المألوف ، وسيكون ذا أثر حاسم فى عدم استمرار اليابانيين فى الحرب ، وقد وافقت الرئيس على هذا الاجراء .

كما استمرت فى هذه الاثناء الهجمات المدمرة على اليابان من

الجو والبحر ، ولم تحل نهاية شهر يوليو ، حتى كان الاسطول الياباني قد اختفى من الوجود تقريبا ، كما سيطرت الفوضى على الوطن ، واخذ الدبلوماسيون المحترفون يميلون الى الاقتناع بأن الطريقة الوحيدة لانقاذ اليابان من التفكك الكلي ، هي أن يصدر الامبراطور أمره فورا بالاستسلام ، ولكن السلطة كانت لا تزال في أيدي زمرة من العسكريين الذين صمموا على ان يقودوا البلاد كلها الى الانتحار الجماعي ، بدلا من قبول الهزيمة ، ولم يرهب الدمـــار الرهيب الذي يواجههم ، هـذه الزمرة الحاكمة المتعصبة ، التي ما فتئت تؤمن بمعجزة من نوع ما ، تقلب الوضع الى صالحهم .

هذا ، وقد بحثت مع الرئيس في محادثات طويلة عدة على انفراد او مع بعض مستشاريه ، ما يجب أن نفعله ، وأشرت الى الثمن الباهظ في أرواح الامريكيين وفي أرواح البريطانيين ايضا ، اذا ما فرضنا على اليابان « الاستسلام بلا قيد ولا شرط » وتركت للرئيس أن يقرر ، ما يضمن لنا الحصول على كل مانراه ضروريا للسلام والأمن في المستقبل ، ويترك لليابانيين في الوقت نفسه بعض المظاهر للحفاظ على كرامتهم العســكرية ، مع التأكيد لهم بوجودهم القومي اذا ما قاموا بتنفيذ جميع الضمانات التي يطلبها المنتصرون ، وقد رد الرئيس على باشمئزاز قائلا :
ـ انه لا يعتقد في وجود أي شرف عسكري لليابانيين بعد هجوم ميناء اللؤلؤ « بيرل هاربور »

وقد تقرر اخيرا ان نوجه انذارا نهائيا الى اليابان ، نطلب فيه استسلام قواتها العسكرية بلا قيد ولا شرط فورا ، ونشرنا هـــذه الوثيقة في السادس والعشرين من يوليو ، ولما رفض حكام اليـــابان العسكريون هذا الانذار ، أعد سلاح الجو الامريكي خططه تبعا لذلك ، لالقاء قنبلة ذرية على هيروشيما ، واخرى على ناجازاكي ، واتفقنا على أن نعطي للأهلين كل فرصـة ممكنة ، وتم وضــــع الاجراء بالتفصيل وللتقليل الى اكبر حد ممكن من الخسائر في الارواح ، قامت الطائرات الامريكية في السابع والعشرين من شهر يوليو ، بالقاء نشرات على احدى عشرة مدينة يابانية ، تحذرها فيها انها سوف تتعرض لقصف جوي هائل ، وهوجمت ست من هذه المدن في اليوم التالي ، كما حذرت الطائرات اثنتي عشرة مدينة اخرى في اليوم الحادي والثـــلاثين من يوليو . وقصفت اربعا منها في اليوم الاول من اغسطس ، ووجه الانذار الاخير في الخامس من شهر اغسطس .

وفي اليوم السادس من اغسطس القيت القنبلة الذرية الاولى على هيروشيما ، كما القيت في اليوم التاسع من اغسطس القنبلة الذرية الثانية على مدينة ناجازاكي ، وفي اليوم التالي وافقت الحكومة اليابانية ـ على الرغم من فتنة قام بها بعض العســــكريين المتطرفين ـ على قبول الانذار ، على شرط الا يؤثر ذلك على سلطات الامبراطور كحاكم مطلق ، فدخلت أساطيل الحلفاء خليج طوكيو ، وتم في اليوم الثاني من سبتمبر توقيع وثيقة الاستسلام الرسمية على ظهر البارجة الامريكية «ميسوري» وكانت روسيا قد أعلنت الحرب على اليابان في الثامن من شهر اغسطس ،

اى قبل أسبوع واحد من انهيارها ، ومع ذلك طالبت بجميع حقوق الدولة المحاربة .

ومن الخطأ الافتراض بأن القنبلة الذرية ، هى التى قررت مصير اليابان ، فقد كان المصير المحتوم بالهزيمة ينتظرها ، قبل القائها ، وقد فرضت هذا المصير قوة الحلفاء البحرية المتفوقة التى مكنت الحلفاء فى الوقت نفسه من احتلال القواعد البحرية فى المحيط ، لتشن منها الهجوم النهائى ، ولترغم الجيش اليابانى فى الوطن على الاستسلام ، دون أن توجه اليه اية ضربة ، فقد تحطمت بحرية اليابان ، حيث دخلت الحرب وهى تملك اسطولا من البواخر تزيد حمولته على خمسة ملايين ونصف مليون من الاطنان ، ثم زاد هذا الرقم من البواخر التى استولت عليها أو بنتها ، ولكن نظام القوافل والحراسة الذى وضعته كان غير كاف وكان مفتقرا الى التنظيم ، وقد تم اغراق بواخر يابانية تزيد حمولتها على ثمانية ملايين ونصف مليون من الاطنان ، ذهب منها نحو خمسة ملايين ضحية للغواصات .

ولما كانت خيبة الامل ، هى الطابع الذى تميز به مؤتمرنا الثلاثى الاخير ، فلن أحاول أن أشرح جميع القضايا التى أثيرت فى مختلف الجلسات ، وان كانت لم تسو ولم تحل ، وساكتفى بالحديث عما اعرفه بخصوص القنبلة الذرية ، وبتخطيط قضية الحدود الالمانية ـ البولندية ، لان هذه الاحداث لا زالت تعيش معنا حتى الآن .

فقد تم الاتفاق بيننا فى مؤتمر يالتة ، على أن تتقدم روسيا بحدودها الغربية مع بولندا الى خط كرزون ، كما كنا قد اعترفنا دائما لبولندا فى حقها بدورها فى الحصول على تعويضات مناسبة من الارض الالمانية ، وكان السؤال هو الى أى مدى ؟ والى اية مسافة فى المانيا يجب أن تمضى بولندا فى توسيع حدودها ؟ فقد أختلفنا حول ذلك أكبر اختلاف ، وكان ستالين قد أراد توسيع حدود بولندا الغربية على طول نهر الأودر حتى نقطة التقائه بنهر النييسى الغربى ، وكان رؤساء الحكومات الثلاث ، قد تعهدوا علنا فى يالتة ، باستشارة الحكومة البولندية ، ويترك الموضوع للتقرير النهائى فى مؤتمر الصلح ، وكان هذا خير ما استطعنا عمله ، ولكننا واجهنا فى يوليو عام ١٩٤٥ وضعا جديدا ، فقد وسعت روسيا حدودها الى خط كرزون ، وكان هذا يعنى كما أدركت أنا وروزفلت ، أن الملايين الثلاثة أو الاربعة من البولنديين الذين يعيشون على الجانب الثانى من الخط ، يجب أن ينزحوا الى الغرب ، وواجهنا الآن أمرا أسوأ من هذا ، فقد وسعت حكومة بولندا التى يسيطر عليها السوفييت حدودها لا الى النييسى الشرقى بل الى الغربى أيضا ، ويسكن الالمان معظم هذه المنطقة ، وعلى الرغم من أن عدة ملايين قد فروا غربا ، الا أن عددا كبيرا قد ظل فى مكانه ، فماذا سنصنع بهؤلاء ؟ كما أن نقل اربعة ملايين بولندى أمر سيىء فى حد ذاته ، فهل يتحتم علينا ان ننقل ثمانية ملايين المانى أو

أكثر أيضا ! وحتى لو أمكننا تحقيق ذلك ، فليس هناك ما يكفيهم من الطعام في الأقسام المتبقية من المانيا لأن معظم القمح الذى تنتجه المانيا فى الأراضى التى أخذها البولنديون ، واذا حرمنا هذا القمح ، فاننا معشر الحلفاء الغربيين سنظل مسيطرين على مناطق صناعية خربة ، وشعب متضخم جائع ، وهنا يكمن خطر بالنسبة لسلام أوروبا فى المستقبل أكبر من الخطأ الذى تمثله الالزاس واللورين ، أو ممر دانزيج، وسيأتى يوم يطالب فيه الالمان باسترداد أراضيهم ، ولن يكون فى وسع البولنديين أن يحولوا بينهم وبين استعادتها .

والآن يجب على ان احدث عن الاتصالات الشخصية والاجتماعية التى خففت شيئا من حدة مناقشاتنا الجديه ، وكان على كل وفد من الوفود الكبيرة أن يقيم الولائم للوفدين الآخرين ، وقد وقع الدور على الولايات المتحدة أولا ، وعندما جاء دورى ، اقترحت أن نشرب نخب « زعيم المعارضة المقبل أيا كان الزعيم » وقد سر المستر أتلى الذى كنت قد دعوته الى المؤتمر ، تطبيقا لنظريتى فى أن من واجب رئيس كل حكومة فى أوقات الازمات أن يعد نائبا له يعرف كل شىء ، ويستطيع أن يحافظ على الاستمرار فى حالة وقوع أحداث ، كما كان العشاء السوفييتى رائعا ايضا ، واشتمل على حفلة موسيقية عزف فيها كبار الفنانين الروس ، وقد استمرت الحفلة الى ساعة متأخرة من الليل ، حتى انني اضطررت الى التسلل والذهاب .

وعندما انتهى اجتماعنا الرسمى فى اليوم التالى ، اى فى الرابع والعشرين من يوليو ، ونهضنا جميعا ، رأيت الرئيس يتجه الى ستالين فيقف بجانبه ، ويأخذ الرجلان فى حديث وليس معهما الا المترجمان ، وكنت واقفا على بعد خمسة ياردات تقريبا ، حيث كنت ارقب باهتمام بالغ الحديث الخطير التاريخى ، لأنى كنت أعرف ما اعتزم الرئيس أن يقوله ، وكان يهمنى أن أعرف مدى تأثير قوله على ستالين ، وانى لأرى الصورة أمامى الآن وكأنها وقعت بالأمس لقد بدا عليه السرور ، وقال : قنبلة جديدة ! لها قوة خارقة ! قد تكون حاسمة فى تقرير الحرب كلها مع اليابان ! ياله من حظ سعيد ! كانت هذه الانطباعات التى حملتها تلك الساعة ، وكنت على ثقة من انه لم يقدر تماما أهمية ما قيل له ، وبدا لى أن القنبلة الذرية لم تلعب دورا فى متاعبه وجهوده ، ولو كانت لديه اية فكرة ولو ضئيلة ، عن الثورة التى تحدث الآن فى الشئون العالمية بسبب هذا الاختراع لكان رد فعله مغايرا تماما ، ولم يكن أسهل عليه من أن يقول « شكرا لك على ابلاغك اياى نبأ قنبلتك الجديدة وبالطبع انا أعرف شيئا عن الحقائق المتعلقة بها ، فهل تسمح لى بأن أبعث بخبرائى فى العلوم النووية لمقابلة خبرائك فى صباح غد ؟ » ، ولكن وجهه ظل مرحا وطبيعيا ، ولما انتهى الحديث بين الزعيمين ، استفهمت من الرئيس ، عن كيفية سير الامور ؟ فرد على بقوله ان ستالين لم يوجه اليه اى سؤال .

وعاد المؤتمر للاجتماع فى اليوم الخامس والعشرين من يوليو ، وكان هذا آخر اجتماع حضرته ، وقد اثرت من جديد موضوع بولندا ؛

وقلت ان حدودها الغربية لا يمكن أن تقرر دون ان ناخذ بعين الاعتبار مشكلة المليون وربع المليون من الالمانيين الذين يعيشون فى المنطقة ، وهنا اكد الرئيس بأن أية معاهدة للصلح لا يمكن أن تبرم دون موافقة مجلس الشيوخ الأمريكي ومشورته ، وعلينا اذن أن نجد حلا ، يستطيع أن يوصى به معتذرا للشعب الامريكي ، فقلت اننا اذا سمحنا لبولندا بأن تكون دولة الاحتلال الخامسة فى المانيا دون أن نتخذ الترتيبات لتوزيع المواد الغذائية ، التى تنتج فى المانيا بصورة عادلة على الشعب الالمانى كله ، ودون أن نتفق على التعويضات وغنائم الحرب ، فان مؤتمرنا يكون فاشلا ، لان جذور المشكلات لا تزال قائمة امامنا ، ولم نصل حتى الآن الى اتفاق بشأنها ، فقال ستالين ، ان الحصول على الفحم والمعادن من الروهر أهم بكثير من المواد الغذائية وقلت ان هذه المعادن يجب أن تتم مقايضتها بالمؤن من المنطقة الشرقية ، والا فان المعدنين لن يستطيعوا استخراج الفحم والمعادن وكان رد ستالين ، انهم قد الفوا فى الماضى استيراد المواد الغذائية من الخارج وفى وسعهم أن يواصلوا استيرادها ، فسألته ، اذن كيف يمكن لهم أن يدفعوا التعويضات ؟ فرد قائلا ، « ما زال هناك شحم كثير على جسم المانيا » ورفضت أن اقبل فكرة المجاعة فى الروهر لان البولنديين يريدون الاحتفاظ بجميع المناطق التى تنتج القمح فى الشرق ، وقلت ان بريطانيا نفسها تفتقر الى الفحم ، فقال ستالين ، « اذن فليشتغل الاسرى الالمان فى مناجمكم ، ان هذا ما أفعله أنا الآن » واضاف قائلا : وما زال هناك اربعون ألف المانى فى النرويج وفى وسعك أن تأخذهم من هناك ، وقلت ، اننا نصدر الفحم الذى نحتاج اليه الى فرنسا وهولندا وبلجيكا ، فلماذا يبيع البولنديون الفحم الى السويد فى حين تحرم بريطانيا نفسها الشيء الذى تحتاج اليه لمساعدة البلاد المتحررة ؟ فرد ستالين قائلا : — ولكنها تبيع الفحم الروسى وما زال موقفنا أصعب من موقفكم ، فقد خسرنا أكثر من خمسة ملايين رجل فى الحرب ، ونحن فى اشد الحاجة الى الايدى العاملة ، وعدت الى نقطتى أثيرها من جديد ، سنرسل الفحم من الروهر الى بولندا أو الى أى مكان آخر ، بشرط أن نحصل بدلا منه على المواد الغذائية لعمال المناجم الذين ينتجون الفحم » .

وهنا توقف ستالين لحظة ليفكر ، وقال : — ان القضية كلها تحتاج الى المزيد من الدرس ، فوافقته على ذلك ، وقلت اننى لا أريد الا الاشارة الى المتاعب التى نواجهها ، وهذا بالنسبة الى هو كل ما يهمنى .

وبما أنه لا يمكننى أن أتحمل مسئولية تتجاوز النتائج التى توصلنا اليها فى مؤتمر بوتسدام ، فقد أثرت فى المؤتمر جميع النقاط التى لم نتفق عليها وتركتها معلقة ، وهكذا لقد تكدست مجموعة ضخمة من القضايا التى لم نصل الى اتفاق بصددها ، وكنت أعتزم اذا ظهرت نتائج الانتخابات فى بلادنا فى صالحنا ، وعدت الى الحكم ، كما كان متوقعا ، أن اشتبك مع السوفييت فى حطام مكشوف لتقرير هذه القضايا ، فما كنت لأقبل قط ، وما كان للمستر ايدن أن يقبل أيضا ، أن يكون نهر النييسى الغربى حدا لبولندا ، وكنا قد قبلنا بخط الاودر والنييسى

الشرقي كتعويض على بولندا مقابل انسحابهـــا الى خط كرزون ، ولكن ما كان لاية حكومة أراسها ، أن تقبل احتياج الجيوش الروسية لجميع المناطق الممتدة حتى النييسى الغربى والى ماوراءه أيضـــا ، ولم تكن القضية تتعلق بالمبدأ فحسب ، وانما كانت تتناول حقيقة هائلة ، تؤثر على نحو ثلاثة ملايين آخرين من المشردين الذين سيجلون عن بيوتهم .

وكانت هناك قضايا أخرى ، وكان لزاما علينا أن نصمد بسببها امام الروس وأمام البولنديين الذين بدوا وكأنهم بعد أن ابتلعوا هـــذه القطع الكبيرة من الارض الالمانية قد اصبحوا اشد انصار السوفييت ، ولكن نتائج الانتخابات العامة ، قد أدت الى تجزئة المفاوضات كلها ، والى وصولها الى نتائج سابقة لأوانها ، وأنا لا أقول هذا لانحى باللائمة على وزراء الحكومة الاشتراكية التي خلفتنا ، والذين اقحـــموا فى المفاوضات دون دراسة جدية سابقة ، كمـــا لم يكونوا على اطلاع على آرائى وخططى ، بحيث يشتبكون فى نزاع فى نهاية الامر ، ويحكمون عليه بالفشل اذا اقتضى الامر ، بدلا من السماح بتجاوز نهرى الاودر والنييسى الشرقى ، واعطاء الأراضى الواقعة وراءهمـــا الى بولندا ، وكان فى الامكان اصلاح الوضع حتى فى مؤتمر بوتسدام .

ولكن تحطيم الحكومة القومية البريطانية واختفائى عن المسرح فى ذلك الوقت الذى كنت لأزال أتمتع فيه بنفوذ عظيم وقـــوة كبيرة ، قد جعلا من المستحيل الوصول الى حلول مرضية .

ولو كانت الظروف عادية ، لشعرت بالحرية فى أن اقضى بضعة ايام فى استكمال القضايا الرسمية بالطريقة المألوفة ، وكان فى وسعى من الناحية الدستورية ، ان انتظر انعقاد البرلمان بعد بضعة ايام ، وان أودع المجلس الجديد ، وكان فى وسعى عن طريق مثل هذا الترتيب ان أتقدم الى المجلس والى الشعب قبل الاستقالة حاملا خبر استسلام اليابان ، ولكن الحاجة الى تمثيل بريطانيا فورا تمثيلا قويا يستند الى صلاحيات صحيحة فى المؤتمر الذى غادرناه ، والذى كانت القضـــايا الكبرى التى بحثناها فيه ما زالت معلقة امامه ، جعلت كل تأجيل فى الاستقالة ، يتنافى مع المصلحة العامة ، وقد كان حكم الناخبين من الناحية الأخرى مبرما ومعبرا بشكل طاغ ، مما جعلنى غير راغب فى البقاء ساعة اخرى مسئولا عن تصريف شئونهم ، فطلبت التشرف بالمقابلة الملكية ، وتوجهت فى الساعة السابعة الى القصر ، حيث رفعت استقالتى الى الملك ،واشرت على جلالته بأن يعهد بالحكم الى المستر آتلى ، ووجهت الى الامة الرسالة التالية التى ارى ان اختم بها هذا الكتاب :

٢٦ يوليو ١٩٤٥

« لقد سجل الشعب البريطانى قراره فى الاحداث التى جمعها اليوم ، ولهذا فقد ازاح عن عاتقى المسئولية التى اضطلعت بها فى أوقات أكثر حلوكة وظلاما ، ويؤسفنى ، اننى لم يسمح لى ، باكمال العمـــل

ضد اليابان ، ولكن جميع الخطط والاعدادات لاكمال هذا العمل قد تمت ، وستظهر النتائج في وقت أقرب بكثير مما كان في استطاعتنا أن نتصوره أو نتخيله ، وستقع على عاتق الحكومة الجديدة مسئوليات ضخمة في الخارج والداخل ، ولنتوجه كلنا بالدعاء لها بأن توفق في تحمل هذه المسئوليات .

ليس أمامي الآن الا أن أعرب للشعب البريطاني ، الذي عملت من اجله ، طيلة تلك السنوات الخطيرة ، عن عميق شكري ، للتأييد الكامل ، الذي لم تشبه أية شائبة من التردد ، والذي أولاني اياه في أثناء قيامي بالواجب ، كما أعرب عن صادق عرفاني لمظاهر العطف التي غمر بها الشعب خادمه المطيع » .

الخـــاتمة

يوليو ١٩٤٥ ــ فبراير ١٩٥٧

اتاحت لى هذه الطبعة الجديدة من المذكرات التى وضعتها عن الحرب الماضية الفرصة اليوم لاستعرض الاحداث الضخمة التى وقعت فى الاثنى عشر عاما الأخيرة التى تلت انتهـاء الحرب ، ولأعرب عن آرائى تجاهها .

عندما غادرت بوتسدام فى الخامس والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٤٥ ، كنت أتوقع الفوز فى الانتـــخابات بأغلبية معقولة ، وكان من المذهل أن تصدمنى الحقائق المرة القاسية ، ولما كانت ادارة دفة الحرب ومعالجة الأوضاع عند نهايتها الظافرة ، قد الهتنى عن فهم حقيقة ماوقع فى الجزر البريطانية ، ولــو اننى فهمتها حين ذاك ، لكان فى امكانى أن ارتب الأمور بشكل مغاير تماما ، فلقد جاء رأى أغلبية الجنود ، بعـــد ما أظهروه لى فى أثناء تلك الفترة من علائم الحب والنـــوايا الطيبة ، مفاجئا لى تمام المفاجأة ، كما كانت نتائـــج الانتخابات وأرقامها مفاجأة أكبر لأوروبا وأمريكا وروســيا ، لأن الجميع كانوا لا يتوقعـــون بعـــد ما رأوا من ثبات الشعوب البريطانية مامكنها من التغلب على جميع المحن التى مرت بها فى عام ١٩٤٠ ، والذى جعل من السهل عليها أن تجتاز سنوات النضال الخمس منتصرة ظافرة ، ألا تتبدل الحكومة .

كما لم احاول فى أثناء مؤتمر بوتسدام حتى اللحظة الأخـــيرة أن اشتبك مع روسيا فى خصام ، بسبب سلوكها الذى يبعث على الدهشة والذهول منذ أيام مؤتمر يالتة ، وكان أملى كبير فى ألا تنسحب الجيوش الأمريكية من المناطق الواسعة التى احتلوها فى أوروبا الوسطى ، فلقـــد كانت هذه هى الورقة الرابحة الوحيدة التى يحملها الحلفـاء فى أيديهم عندما توقف القتال ، للوصول عن طريقها الى تسوية مرضية ، ولم تكن بريطانيا تطلب شيئا لنفسها ، ولكنى كنت واثقا من أنها كانت ترى فى هذا التقدم الذى تقوم به روسيا فى جميع الاتجاهات ، شيئا يفوق كل ما هو عدل ، وظهر ان الأمريكيين لم يكونوا مدركين لخطورة الوضـــع ، أما الدول التابعة ، كما أصبحت تدعى ، فتحتلها الجيوش الروسية ، كما كانت برلين فى أيديهم ، مع أنه كان فى وسع مونتجمرى أن يحتلهـــا لو سمح له بذلك ، وكان الروس يسيطرون على فينا ، ولم يكن يسمح لممثلى الحلفاء ، حتى كأفراد بالوصول الى العاصمة المهمة ، أما بالنسبة للبلقان ، فقد أصبحت رومانيا وبلغاريا محتلتين ، كما كانت يوغوسلافيا تهتز تحت تيتو زعيمها الوطنى المشهور ، وكان الروس قد احتـــلوا براغ بموافقة

أمريكا كما يبدو ، وهم يسيطرون على بولندا التى اتفق على أن يمتد حدها الغربى الى قلب أوروبا على حساب ألمانيا ، ومع ذلك فقد اتضح أن وجهة النظر الأمريكية كانت ترى ان هذه الأمور ضرورية للابقاء على ألمانيا تحت السيطرة ، كما كانت تهدف الى عدم الوقـــوف فى صف بريطانيا ضد روسيا .

وقد سافرت عندما حل الشتاء الى الولايات المتحدة حيث قضـيت فيها عدة أشهر ، زرت خلالها البيت الأبيض ووزارة الخارجية ، كمـــا تلقيت دعوة لألقى خطابا فى كلية وستمنستر فى فولتون ، وميسورى فى شهر مارس عام ١٩٤٦ ، ولما كان أمامى بضعة أشهر قبـــل حلول موعد الخطاب فقد ظللت أطلع على الاحداث أولا بأول ، كما استفهمت من البيت الأبيض ومن وزارة الخارجية ، عمـا اذا كانت اثارتى لبعض الموضوعات ستحدث حرجا للحكومة الأمريكية ، فأكد لى الجميع ، بأن فى وسعى أن أقول كل ما أريد ، ولذلك فقـــد عكفت على اعداد خطابى اعدادا لائقا ، وفى أثناء هذه الفترة ، بدأ الوضع المتمثل فى شراهة روسيا والشيوعية الدولية التى لا تشبع ، والذى يواجهنا ، يترك أثره وانطباعاته القـومية فى الأوساط الأمريكية .

وقد عرضت النقاط التى اعددتها على المستر بيرنز وزير الخارجية الأمريكية فوجدته متفقا مع آرائى الى حد كبير ، ولما حل الموعد ، دعانى الرئيس للسفر معه فى قطاره الخاص حيث كان ســـيرأس المحاضرة ، فمضينا الليل كله فى القطار حتى وصلنا الى فولتون ، وقضينا معا وقتا ممتعا ، ولما كنت واثقا من أن وزير الخارجية قد اطلع الرئيس على المخطط العام لمحاضرتى ، وقد ظهر لى أنه كان راضيا عنه ، فقد قررت أن القيه كما وضعته ، لأن الانسان يجب أن يكون على حذر فى موضـــوع الخطب التى يلقيها فى بلاد الآخرين ، وهذا بعض ما قلته فى المحاضرة :ـ

« لقد خيم ظل ثقيل على المناطق التى أضاءتها انتصارات الحلفاء مؤخرا ، ولا يدرى الانسان ، ماذا تنوى روســـــيا السوفيتية ومنظمتها الشيوعية الدولية ، أن تفعلا فى المستـقبل القريب ، أو ما الحدود « ان وجدت » لاتجاهاتها الواسعة والتبشيرية ؟ .

وانى لمعجب أشد الاعجاب بالشعب السوفييتى الشجاع واحترمه كل الاحترام ، كما أعجب بزميلى أيام الحرب الماريشال ستالين واحترمه ، كما ان هناك احساسا عميقا من العطف وحسن النية فى بريطانيا وهنا كمـا أعتقد نحو شعوب روسيا كلها ، كما ان هناك تصميما على الاســـتمرار برغم جميع الخلافات والصدمات ، على اقامة صداقات دائمة ، ونحن نفهم تمام الفهم حاجة روســـيا الى الطمأنينة على حدودها الغربية ، وازالة كل احتمال للعدوان الألمانى ، كما نرحب بروسيا فى المكان الذى تستحقه بين دول العالم القائدة ، ويسرنا أن نرحب بعلمها يخفق فوق البحار ، وفوق ذلك كله فاننا نرحب بالاتصالات المستمرة والدائمة والمتزايدة بين الشعب الروسى وبين شعبينا على جانبى الأطلنطى .

ومع ذلك فان واجبى يفرض على ـ وأنا واثق من أنكم تريدون منى ذلك ..

أن اذكر لكم الحقائق كما أراها ، وأن أضع تحت اعينكم بعض القضايا التى تتعلق بالأوضاع الراهنة فى أوروبا ٠

فقط هبط ستار حديدى على القارة الأوروبية ، ممتد من ستيتين على بحر البلطيق الى تريستا على بحر الادرياتيك ، ووراء هذا الستار تقوم عواصم جميع الدول العريقة فى أواسط أوروبا وشرقيهـا ، فوارسو ، وبرلين وبراغ وفيينا وبودابست وبلغراد وبوخارست وصوفيا ، أجل كل هذه المدن الشهيرة وما حولها من سكان ، تقوم الآن ويقيمون فى المنطقة التى ادعوها بالسوفييتية ، وكلها تتعرض بشـكل أو بآخر ، لا للنفوذ السوفييتى فحسب ، بل الى حد ضخم من اشراف موسكو وسيطرتها فى كثير من الحالات ، أما اثينا ـ «اليونان الخالدة بأمجادها» ، فهى الوحيدة التى لها مطلق الحرية فى تقرير مستقبلها فى انتخابات تجرى فى ظل مراقبة بريطانية وامريكية وفرنسية ، وقد شـجعت الحكومة البولندية التى يسيطر عليها الروس ، على أن تقوم باغتصابات ضخمة وخاطئة من ألمانيا ، وها نحن أولاء نشهد الآن طرد وتشريد الملايين من الألمان على نطاق ضخم لا مثيل له فى التاريخ وبشكل محزن ومؤلم ، وقد ارتفعت الأحزاب الشيوعية التى كانت صغيرة جدا فى جميع دول أوروبا الشرقية الى مرتبة البروز والسيطرة ، دون ان يتفق هذا مع قوتها العددية ، وهى تحاول فى كل مكان الوصول الى السيطرة الجماعية ، كما تسـيطر الحكومات البوليسية فى كل مكان ، وليست هناك ديموقراطية حقيقية فى أى مكان باستثناء تشيكوسلوفاكيا ٠

وقد أصاب الفزع العميق كلا من تركيا وايران من جراء هذه المطالب التى تتقدم بها حكومة موسكو اليهما ، ومن جراء هـذا الضغط الذى تفرضه عليهما ، ويقوم الروس فى برلين بمحاولة لاقامة حزب شـبه شيوعى فى المناطق التى يحتلونها من ألمانيـا ، عن طريق ما يبدونه من عطف خاص على الجماعات ذات الجناح اليسارى ، وقد انسحبت الجيوش الأمريكية والبريطانية فى نهاية الحرب فى شهر يونيـو ، غربا ، طبقا لاتفاق سابق الى مسافة تبلـغ فى بعض النقاط مائة وخمسين ميلا على جبهة تمتد أربعمائة ميل ، وذلك لكى نسـمح لحلفائنا الروس باحتلال هذه المسـاحات الشاسـعة من الأرض التى فتحتهـا قوات الدول الديموقراطية الغربية ٠

واذا ما حاولت الحكومة السوفييتية الآن عن طريق عمل فردى ، أن تقيم ألمانيا موالية للشيوعية فى المناطق التى تحتلها ، فان هذه المحاولة ستخلق متـاعب خطيرة وجديدة فى المنـاطق البريطانية والأمريكية ، وستعطى للألمـان المهزومين القـدرة على المسـاومة بين السوفييت والديموقراطيات الغربية ، ومهما كانت النتائج التى نصل اليها من هذه الحقائق ـ وهى حقائق حتما ـ فانها ليست الصـورة التى حاربنا من أجلها ، والتى أردناها لأوروبا المحررة ، كما أنها ليست الصـورة التى تشتمل على أسس السلام الدائم » ٠

وكان الجمهور يصغى الى باهتمام زائد ، كما أعرب الرئيس والمستر

بيرنز عن استحسانهما لما قلت ، أما الصـــــحف فقد صدرت وهي مليئة بالتعليقات المختلفة ، وعندما وصلت الأنباء الى روســـــيا قوبلت مقابلة سيئة ، ورد على ستالين كما ردت على البرافدا ، وهذا ما كنت أتوقعه ، وقد وصفتني البرافدا بأنني « داعية للحرب ومن أعـــــداء السوفييت » وقالت انني أحاول تحطيم الأمم المتحدة ، واتهمني ســــتالين بأنني أدعو لمحاربة الاتحاد السوفييتي وشبهني بهتلر •

كما وجهت أيضا أســــئلة بصدد هذا الخطاب في مجلس العموم ، وقد رد عليها المستر آتلي الذي كان رئيسا للوزراء في ذلك الحين ، بأنه لا يطلب الى الحكومة أن تبـين وجهة نظرها في خطاب يلقيه مواطن عادي في بلد أجنبي •

وكان من المقرر ان القي خطابا آخر بعد بضعة أيام في نيويورك ، حيث أكون ضيفا على رئيس البـــلدية والمجلس البلدي ، ورأيت لافتات شيوعية تحيط بفندق والدورف استوريا ، الذي كان من المقرر أن القي خطابي فيه ، في أثناء مادبة العشاء التي تقام تكريما لي ، وفوجئت أيضا بامتناع المستر دين اتشيسون ، وكيل وزارة الخارجية عن حضور المادبة ، ولما سمع المستر جون وينانت بهذا التغيير في الخطة وهو في واشنطن بعد الظهر ، استقل فورا القطار ووصل في أثنـاء المادبة لكي يؤيدني ، وليلقي خطابا وديا للغاية ، وقد جاء في خطابي ما يلي :ـ

وعندما تحدثت في فولتون قبل عشرة أيام ، شعرت أن ليس من الضروري بالنسبة لشخص لا يشغل مركزا رسميا ، أن يتحدث في عبارات متحفظة حول الأوضاع الراهنة في العالم ، واني لا أرغب في أن أعدل كلمة واحدة مما قلته في ذلك الخطاب ، ولقد دعيت لأقول رأيي بحرية في هذه البلاد الحرة ، واني لواثق من أن الأمل الذي أعربت عنه في تزايد الترابط بين بلدينا ، ســيتحقق حتما ، لا بســــبب خطاب يقال ؛ بل للتيارات التي تسري في القضايا الانسانية ، وفي ســـير مصير العـــالم الذي أخذ في التكشف •

والسؤال الواضح الصريح في رأيي ، هو هـــل يتحقق الانسجام الضروري فكرا وعملا ، بين الشعبين البريطاني والأمريكي بصورة واضحة وكافية ؟ وبشكل سريع ، بحيث يضمن الحيلولة دون وقوع صراع عالمي جديد ، أو انه لن يقع هذا الانسجام الا بعد أن يكون الصراع العـالمي قد وقع كما حدث في الماضي ؟

على أي حال دعوني أقول لكم ، ان تقدم جميـــع شـــعوب العالم وحريتها ، في ظل حكم من القانون تفرضه منظمة عالمية أمران لن يتحققا ، ولن يحل عهد من الرخاء دون جهود مستمرة وصادقة وغـــير هيابة من نظامي المجتمع في بريطانيا وأمريكا •

وقد أخذ الغليان والاضطراب في الصحف والرأي العام يشتدان ، كما أخذ جو من الاثارة والحماس يتزايد •

وقد قضيت مطلع خريف عام ١٩٤٦ فى منزل على شواطىء بحيرة جنيف ، وعندما حان أوان أوبتى للوطن ، قمت بزيارة ممتعة الى جامعة زيوريخ ، وألقيت فى طلابها خطابا عن مأساة أوروبا وعن الحالة التى وصلت اليها ، ودعوت الى اقامة ولايات متحدة أوروبية أو شىء من هذا القبيل ، وقلت : ــ

« لقد سرني غاية السرور ما قرأته فى الصحف قبل يومين ، من أن صديقى الرئيس ترومان قد أبدى اهتمامه وعطفه على هذا المشروع العظيم، ولا أرى سببا هناك يدعو الى وجود أى تضارب بين منظمة اقليمية من هذا النوع وبين منظمة الأمم المتحدة العالمية ، وانى على النقيض من ذلك أعتقد بأن المنظمة الكبيرة لن يقدر لها العيش الا اذا قامت على أساس مجموعات منسجمة انسجاما طبيعيا ، فهناك مجموعة منسجمة طبيعيا تقــــوم فى منتصف الكرة الغربى ، كمـــا نملك نحن البريطانيين جامعة شــــعوبنا البريطانيــة ، ومثــل هاتين المنظمتين لا تضعفان المنظمــة العــالمية وانما تدعمانها وتقويانها ، انهما فى الحقيقة الدعامة التى تدعمها ، فلم لا تكون هناك أيضا مجموعة أوروبية ، تضفى معنى أوســع من الوطنية والرعاية المشتركة على الشــعوب المستضعفة فى هــذه القارة القــوية ، والمــلأى بالمشاغبات والفتن ؟ ولم لا تأخذ مكانها الصحيح مــع المجموعات الكبيرة الأخرى فى تقرير مصير الانسانية ، وللوصول الى هــذا يجب أن يكون هناك احساس من الايمان تشترك فيه ملايين الأسر التى تتحدث لغـــات مختلفة اشتراكا واعيا .

وكلنا يعرف أن الحربين العالميتين اللتين خضناهما ، قد نشأتا عن رغبة عابثة من جانب المانيـــا ، التى أرادت أن تلعب دورا مسيطرا على العالم ، فعلينا أن ننزع من المانيا القدرة على اعادة التسلح وعلى شن حرب عدوانية أخرى ، ولكن عندما يتم هذا كما يجب أن يتم ، فيجب أن تكون هناك نهاية للقصاص والعقوبة ، ويجب أن يكون هنـاك ما أسماه المستر جلادستون قبل سنوات ، « بعمل مبارك من أعمال النسيان » .

وعلينــــا أن نتناسى جميعا أهوال الماضى ومتاعبه ، وأن نتطلع الى المستقبل دون أن نحمل السنوات القادمة الكراهيات والثارات التى تخلفت عن اساءات الماضى ، واذا قدر لاوروبا ، أن تنجو من التعاسة التى لا حدود لها ، وأن تتخلص من الدمار النهائى ، فيجب أن يكون هناك ايمان بالعائلة الاوروبية ، وأن يكون هناك نسيان لجميع جرائم الماضى وحماقاته .

وسأقول الآن شيئا قد تذهلون له ، ان الخطوة الاولى لخلق الاسرة الأوروبية هى فى قيام شركة بين فرنسا والمانيا ، فبهذه الطريقة وحدها تستطيع فرنسا اســتعادة زعامتها الاوربية لاوروبا ، ولا يمكن ان يكون هناك بعث لاوروبا بدون وجود فرنسا عظيمة روحيا والمانيا عظيمة روحيا، وسيكون كيان الولايات المتحدة الاوربية ، اذا قدر لها أن تقوم على أسس قوية وصحيحة من النوع الذى يجعل القوة المادية لأية دولة منفردة غير ذات اهمية ، لكى تكون للدول الصغرى قيمة الدول الكبرى نفســـها ، وستحقق جميعها كرامتها عن طريق الاسهام فى القضية المشتركة ، وفى

وسع دول المانيا وامارتها العريقة التى اتحدت لمنافع متبادلة فى نظـــام اتحادى ائتلافى (فيدرالى) أن تأخذ مركزها الفردى كما تشاء فى الولايات الاوروبية المتحدة ، ولن أحاول وضع برنامج مفصل لمئات الملايين الذين يريدون أن يعيشوا سعداء وأحرارا ، مرفهين وآمنين ومطمئنين ، والذين يرغبون فى أن يتمتعوا بالحريات الاربع التى تحدث عنها الرئيس العظيم روزفلت ، وان يعيشوا طبقا للمبادىء التى تضمنتها اتفاقية الأطلنطى واذا كانت هذه هى ارادتهم فعليهم أن يعلنوها ، وفى الامكان ايجـــاد الوسائل واقامة الاجهزة التى تضمن لرغبتهم الاثمار الكامل ·

ولـكنى أرى لزاما على أن أحذركم ، فالوقت قد يكون قصيرا ، اننـا الآن نعيش فترة استراحة ، فقـد توقفـت المدافع عن الانطلاق ، ووقف القتال ، ولكن الاخطار ما زالت قائمة ، واذا كان لزاما علينـــا ان نؤلف الولايات المتحدة الاوروبية ، أو أن نسميها أية تسمية نشاء ، فعلينا أن نبدأ الآن » ·

هذه هى الافكار التى ساورتنى فى عام ١٩٤٦ ، وقد بدت لفرنسا المعذبة التى نجت أخيرا من الاحتلال والاذلال ، فكرة الترابط الوثيق مع جلادها الذى أخضع أخيرا ، شيئا لا يمكن تصوره ، ولكن انسياب الاخوة الاوروبية قد عاد تدريجيا الى شرايين فرنسا وعروقها ، وتغلب العقـــل الغالب الطبيعى أخيرا على مرارات الماضى ·

وكنت ولا أزال أحترم الشعب الروسى الباسل كل الاحترام ، الا أن ظل هذا الشعب أناخ بكلكله المدمر على مسرح مابعد الحرب ، ولم تكن هناك حدود مرئية للضرر الذى يمكن لهذا الظل أن يحدثه ، ولما كـانت بريطانيا وأمريكا ، بتصميمها الكلى على الانتصار على دول المحـــور ، لم تضما الشروط الكافية لتقرير مصير أوروبا المثلةومستقبلها ، لقد خضنا الحرب لا دفاعا عن استقلال البلاد الصغيرة فحسب ، بل لنعلن الحقوق للافراد ولنضمنها أيضا ، كما نضمن الحريات التى تقوم عليهـــا أسس الحياة الخلقية ، ولما كانت لروسيا السوفييتية أهداف أخرى تهتم بها ، فقد شددت قبضتها على الاراضى التى اجتاحتهاجيوشها ، وأقامت حكومات ائتلافية فى جميع الدول القابعة وراء الستار الحديدى يشـترك فيهـــا الشيوعيون ، وكان الأمل يتركز فى امكان الاحتفاظ بالديموقراطية بأى شكل من الاشكال ، ولكن الشيوعيين أخذوا يضعون أيديهم على المراكز المهمة فى بلدة بعد أخرى ، ومن ثم شرعوا فى اضطهاد الاحزاب السياسية الاخرى ومضايقتها ، مطوحين بزعمائها الى حياة النفى والتشريد ، كمـا جرت محاكمات وأعمال تطهير ، وفى الحال سيطرت الشيوعية على رومانيا والمجر وبلغاريا ·

وقد كافحت كفاح الجبابرة دفاعا عن بولندا فى مؤتمرى يالتـــة وبوتسدام ، وباء كفاحى بالفشل ·

وقام الوزراء الشيوعيون بانقلاب مفاجىء فى تشيكوسلوفاكيا مما أثار يقظة الرأى العام العالمى ، وتحطمت الحرية فى داخل البلاد ، وحظر عليها التعامل بحرية مع الغرب ·

كما يرجع الفضل الى بريطانيا على الغالب ، فى بقاء اليونان مستقلة بصورة غريبة بين هذه الدول ، فقد خاضت بمساعدة بريطانيا وأمريكا حربا اهلية طويلة ، ضد العصاة الشيوعيين ، وبعد كل تلك الجهود والآلام الطويلة التى فرضتها الحرب الكونية الثانية تبين أن أكثر من نصف أوروبا لم يفعل أكثر من استبدال طغيان بآخر ٠

وتبدو هذه النقاط اليوم شيئا عاديا مألوفا ، وقد أصبح الكفاح الطويل وغير الفاشل الى حد ما ، لوقف تيار الاجتياح الروسى أو الاجتياح الموحى به من الروس جزءا من أعمالنا اليومية وحياتنا ، وكان من الضرورى حقا فى بعض الاحيان ، كما هى الحالة بالنسبة الى القضايا الصحيحة ، تخفيف الحماس والتنكر للانتهازية ، ولم يكن من السهل أبدا فى ذلك الوقت أن ينتقل الانسان بأفكاره من انتصار عظيم منهك على طغيان واحد ، الى توقع حملة مضنية وباهظة التكاليف ضد طغيان آخر ٠

وكانت منظمة الامم المتحدة لا تزال فى طفولتها ، الا أنه اتضح منذ البداية ، ان العيوب الموجودة فيها قد تقيم الدليل على انها من الخطورة الى الحد الذى يبطل الأهداف التى قامت من أجلها ٠ على أى حال تبين انها لا تستطيع ان تؤمن بسرعة وبصورة فعالة بتلك الوحدة ، وتلك القوى المسلحة التى تحتاج اليها أوروبا الحرة والولايات المتحدة للمحافظة على كيانهما ، وكنت قد اقترحت فى محاضرة فولتون أن تكون الامم المتحدة مجهزة بقوة دولية مسلحة ، كما الححت بالنسبة الى المستقبل الراهن والى المستقبل البعيد المدى على استمرار العلاقة الانجليزية ـ الامريكية الخاصة ، التى كانت احدى النظريات الاساسية التى كرست لها حياتى السياسية ٠

وهنا قلت فى الخطاب نفسه :

« فليس فى امكان التثبت مع منع الحروب ، ولا فى امكان النهوض المستمر للمنظمة العالمية أن يتحققا دون ما اسميته بالترابط الاخوى للشعوب الناطقة بالانجليزية ، وهذا الترابط يعنى قيام علاقة خاصة بين جامعة الشعوب البريطانية وامبراطوريتها وبين الولايات المتحدة ، وفى وسع هذه العلاقة أن تحمل معها استمرارا للتسهيلات الراهنة المتخذة للسلامة المشتركة عن طريق استخدام القواعد البحرية والجوية فى البلدين بصورة متبادلة ومشتركة ، وفى جميع انحاء العالم ، وبما أن الولايات المتحدة قد عقدت اتفاقا دفاعيا دائما مع الحكومة الكندية ، فمن الواجب أن يعقد مثل هذا الاتفاق مع جميع دول جماعة الشعوب البريطانية على أساس التبادل الكامل » ٠

وقد قدر للسنوات الثلاث التالية ، أن تشهد مشروعا اقترب من تحقيق هذا الهدف وان لم يصل اليه تماما ٠

ولا أريد أن أحتكر الفضل فى جميع هذه الامور ، ولعل من مزايا المعارضة ، ان الانسان الذى يكون فى خارج الحكم ، يستطيع أن يمضى

بخياله الى آفاق أوسع من تلك التي يمضي اليها أولئك الذين شاء لهم طالعهم أن ينقلوا المخططات الى حيز التنفيذ، فقد تمكنت الحكومة البريطانية بوحي من ذلك الانسان ذي القلب الكبير والحكمة البالغة المستر أرنست بيفن ، أن تتولى زمام القيادة في اعادة بناء جزء من المجتمع الاوروبي، أو ما تبقي من أوروبا على الاقل ، وقد كانت الافكار الاولى منبعثة من الاخطار الناجمة عن احتمال بعث ألمانيا ، وقد وقعت بريطانيا وفرنسا في عام ١٩٤٧ معاهدة دنكرك ، التى التزمتا فيها أن تساعد الواحدة منهما الاخرى في حالة تعرضها لهجوم ألماني ، الا ان حقائق الحاضر غير المطمئنة، اخذت تكشف مخاوف الماضي .

وبعد مضى أشهر طويلة من النشاط الديبلوماسي ، تم التوقيع على معاهدة بروكسل في عام ١٩٤٨ ، وتعهدت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى وهولندا وبلجيكا ولوكسمبرج ، بموجب هذه المعاهدة ، بان تساعد بعضها بعضا في حالة تعرض أى منهما لعدوان أيا كان مصدره ، ولم يذكر اسم ألمانيا في هذه المعاهدة .

وقد تم انشاء منظمة عسكرية برياسة الماريشال مونتجمرى ، لتقدير الموارد المدخرة للدفاع ، ولوضع خطة تتناول هذه الموارد ، وقد أسميت هذه المنظمة بالاتحاد الغربي ، وقد أيدت هذه الاجراءات ، وأعربت عن أملي بقوة ، في أن تحمل الولايات المتحدة على نوع من الارتباط معها ، اذ بدون مساعدتها ، تكون المنظمة ناقصة الى حد مخيف .

وكنا سعداء في أن يكون على رأس وزارة الخارجية الامريكية في هذا الوقت الجنرال ماريشال ، البعيد النظر والكثير الاخلاص ، الذى عملنا معه بروح الزمالة الوثيقة والثقة طوال سنوات الحرب ، وقد حاول الجنرال والرئيس ترومان ، ضمن الحدود التى يفرضها الكونجرس والراى العام الامريكي ، أن يضيفا وزنا واهمية للجهود التى كانت تبذل حين ذاك في أوروبا ، وقد أثمرت الجهود المبذولة على جانبى الاطلنطى ، وتم التوقيع في شهر أبريل عام ١٩٤٩ ، على معاهدة شمال الاطلنطى ، التى التزمت الولايات المتحدة بموجبها ، لاول مرة في تاريخها ، مع مراعاة الحقوق الدستورية للكونجرس ، بمساعدة حلفائها اذا ما هوجموا ، وقد تضمنت الدول الاوروبية التي وقعت على المعاهدة بالاضافة الى دول معاهدة بروكسل ، كلا من النرويج والدانمارك وايسلندا وايطاليا والبرتغال ، كما وقعت كندا أيضا على المعاهدة مقدمة دليلا اضافيا جديدا على الثقة التى كنا نصفها – نحن في بريطانيا – دائما في صداقتها وولائها .

وكان العمل الذى تلا ذلك معقدا كل التعقيد ، وقد نجم عنه اقامة منظمة حلف الاطلنطى ، التى تراسها هيئة تخطيط عسكرية ، يتولى قيادتها الجنرال أيزنهاور ، الذى جعل مقر قيادته في فرساى ، ونشأ من الجهود التى بذلتها القيادة العليا لمنظمة حلف شمال الاطلنطى في أوروبا ثقة هادئة ورصينة في أن أى غزو قادم من الشرق ، سيلقى مقاومة فعالة ومنتجة .

ومن الثابت ان حلف الاطلنطي قد حقق بوجوده في البداية أكثر مما حقق بعمله ، فقد أعاد الى أوربا الثقة ، ولا سيما البلاد الواقعة على مقربة من الاتحاد السوفييتي وتوابعه ، وقد سبب هذا الاثر انحسارا لحق بقوة الاحزاب الشيوعية في البلاد المهددة ، وفي بعث ظهر في النشاط القومي الصحيح في المانيا الغربية .

وقد ظلت قضية اشراك المانيا في حلف الاطلنطي في مقدمة الخطط الغربية ، ولكن كان من الصعب تبديد مخاوف فرنسا من اعادة بعث الجيش الألماني ، وكان هذا الموضوع صالحا لاستخدام ذوى النوايا السيئة والمخدوعين ، في آن واحد ، فقد غزا الالمان فرنسا ثلاث مرات في بحر سبعين عاما ، وكان من الصعب أن ينسى الفرنسيون « سيدان » وحمام الدماء في فردان ، وانهيار عام ١٩٤٠ ، والاحتلال الطويل الأمد في الحرب الكونية الثانية ، الذى حطم الكثير من الولاء وجعل الفرنسي يقاتل أخاه الفرنسي ، واحسست في بريطانيا بشعور العداء من أجل اعطاء أية أسلحة ، حتى ضمن حدود أقسى الضمانات والالتزامات الى الجمهورية الالمانية الجديدة .

ولما كان أى غزو سوفيتي لاوروبا الغربية لا يمكن صده دون معاونة الالمان ، وقد جربت خطط عدة وفشلت ، فقد تولى الفرنسيون زمام القيادة في قيام ادماج أوسع لأوروبا الغربية في القضايا المدنية ، كما تبنوا مشروعا لقيام جيش أوروبى بزى موحد ، تدخل فيه الوحدات الألمانية دون أى تهديد لجيرانها ، ولم أهتم بهذه الفكرة ، فمن الصعب أن تجعل مزيجا غريبا يضم جنودا من نحو ستة شعوب ، يحمل الولاء نفسه ، ويتبادل مشاعر الثقة التى هى ضرورية بين الزملاء في المعركة ، وبذلك لم يتحقق اسهام المانيا المباشر ، عن طريق جيشها القومي في قوة الغرب ، الا بعد مضى عدة سنوات ، ومع ذلك فلم ينفذ من المشروع الجديد حتى الآن ، الا القليل ، أما أنا فكنت لا أرى ضيرا في التعاون مع عدوى عندما تنتهى الحرب ، بكل ما ينطوى عليه هذا التعاون من تعاون ضد خطر خارجي .

وقد واصلت الولايات المتحدة ، جنبا الى جنب مع هذه التطورات التى كان القسم الاكبر منها لا يزال على الورق ، اظهار تصميمها على مساعدة أوروبا ، ومساعدة نفسها عن هذا الطريق ، فقبل توقيع حلف الاطلنطي بزمن طويل ، كانت الطائرات الامريكية ترابط في شرقي انجلترا بأعداد كبيرة ، وكانت هذه القوات كابحا عمليا رادعا ، ولكن مع الاسف ، فان الجهاز الرائع لهيئة أركان الحرب البريطانية والامريكية المشتركة ، التى كانت بانية التخطيط الذى قادنا الى النصرة ، حل بناء على اقتراح امريكي ، ولم يكن في وسع أى جهاز آخر ان يضاهيه روعة وقوة . كما انه لا يمكن لاحسن الترتيبات التى أعدها حلف الاطلنطي ، الا أن تعتبر ظلا تعسا ، لتلك المنظمة الاخوية والقوية التى كانت قائمة وموجودة .

وقد جاءت التجربة العصيبة في شهر يوليو عام ١٩٤٨ ، عند ما قطع الروس برلين عن العالم الخارجي ، وكانت غايتهم ادخال برلين كلها في الدولة الشيوعية التى أقاموها في شرقي المانيا ، وبدا أن على بريطانيا

وفرنسا ولمريكا اما أن تتخلى عن المدينة أو تبعث بقوافل التموين اليها من المانيا الغربية بطريق القوة ، وهو حق مشروع لها .. وقد عثر على حل لحسن الحظ ، أمكن عن طريقه تجنب الكثير من الاخطار ، فقد بدا الجسر الجوى في العمل ، وحتى أوائل فبراير عام ١٩٤٩ ، كان قد نقل أكثر من مليون طن من المؤن الى برلين بوساطة الطائرات الامريكية والبريطانية طوال مدة الحصار وهى ثمانية شهور ، وقد اضطر الروس الى الاذعان فى الوقت المناسب ، وتخلوا عن الحصار الذى فرضوه .

وكانت المساعدة الاقتصادية للخلفاء أمرا حيويا ، فنحن فى بريطانيا انفقنا أموالا ضخمة فى الحرب ، بحيث اننا مهما اقتصدنا فسنظل نعانى ضائقة شديدة ، وعلى الرغم من القرض الامريكى الضخم ، فان الوضع كان يتجه عندنا نحو الخطورة ، كما كانت بقية أجزاء أوروبا تعـــانى الحالة نفسها على درجات متفاوتة ، ولولا مشروع العون الاقتصادى الذى وضعه الجنرال ماريشال والتعاون المتبادل مع ست عشرة دولة أوروبية أخرى ، فان أوروبا كانت ستنهار حتما الى حالة من الخراب والفقر ، تنمو فيهـا جذور الشيوعية بسرعة هائلة .

وكان هناك رأى آخر لآمالنا المتعلقة بتوحيد أوروبا وتقويتهـا لمواجهة أى عدوان خارجى ، أو هدم داخلى ، فالافكار التى استهللت بهـا خطابى فى فولتون ، قد ترجمت الى حد كبير الى افعال وحقائق عن طريق الجهود الحكومية ، وسلسلة المعاهدات والمنظمات الرسمية التى شرحتهـا بايجاز ، وكان من المهم جدا بالنسبة للمفاهيم البعيدة المدى ، عن فكـرة أوروبا المتحدة التى جعلناها مثلنا الاعلى النهائى ، ان تجد لها ندوة تناقش فيها وتدرس ، وكان يوجد عدد كبير من أبرز الساسة الاوربيين وقادة الفكر يحملون الآراء نفسها ، وقد شرعنا فى عام ١٩٤٧ فى « الحركـة الأوروبية » التى تستهدف الدعوة الى وحدة أوروبا ، وبحث الوســائل التى تؤدى الى تنفيذها عمليا ، ولكن بصورة تدريجية ، لان من الخطأ فى المشروعات الضخمة ، أن يحاول المرء تنفيذ كل شىء فورا ، كما أنه من الصعب فى قضايا من هذا الطراز أن يحاول المرء التخطيط وكأنه فى عملية عسكرية ، وكانت مهمتنا اقامة اتحادات ووشائج أدبية وثقافية واخلاقية واجتماعية فى جميع أنحاء العالم .

وقد قويت شوكة « الحركة الاوروبية » واشتد نشاطها ، وأدت دورا بارزا فى التفكير الحكومى ، وقد أشار الجنرال مارشال ، الى أن هذه الفكرة كانت من جملة الاسباب التى حملته على وضع مشروعه لمساعدة أوروبا اقتصاديا ،واثمرت المناقشات المتعددة التى جرت عن خلق المجلس الاوروبى فى عام ١٩٤٩ ، متخذا مدينة ستبراسبورج مركزا له ، وتم فى هذه المدينة انجاز الكثير من الاعمال النافعة مع اختلاف الخطوط وظلال الدعايات .

هذا وقد احتلت القنبلة الذرية ، وطفلتها القنبلة الهيدروجينية ، وهما آخر ما امتلكه الانسان من الأسلحة المدمرة الشاملة للبشرية ، المكانة المتالقة ، فى جميع أفكارنا المتعلقة بشئون الدفاع ، وكـانت بريطانيا والولايات المتحدة، قد اتفقتا فى مطلع الحرب الماضية،على تجميع معلوماتهما وتجاربهما فى البحث النووى ، وقدمنا بلا ثمن ، ثمار ســنوات من

الاكتشافات والتجارب التى توصل اليها الرواد من علماء الطبيعة الانجليزية فى هذا الميدان ، كاسهام منا للمشروع السرى الضخم المشترك ، الذى شرع فى تنفيذه فى الولايات المتحدة وكندا ، وكان فى وسع هـؤلاء الذين خلقوا هذه الاسلحة ، ان يسيطروا على العالم ويستعبدوه ، كما كان يفعل غيرهم ، من ذوى الايدى المشكوك فى صدقها ، ولكنهم أثبتوا جدارتهم بمسئولياتهم ، الا أن الاسرار تسربت على أى حال الى الاتحاد السوفييتى ، فساعدت العلماء الروس الى حد كبير فى ابحاثهم ، وانعكست بعد ذلك جميع النظريات المقبولة عن الاستراتيجية العسكرية ، وخلق نظام جديد لم نكن نحكم به من توازن القوى ، يقوم على اساس حيازة وسائل الابادة المتبادلة .

وقد شعرت فى نهاية الحرب العظمى بالرضا عن نفسى ، لانى توصلت مع الرئيس روزفلت فى كويبك فى عام ١٩٤٣ الى أحسن اتفاق فى هـذا الصدد ، وقد نص على التأكيد بأن بريطانيا وأمريكا لن تستخدما هـذه الاسلحة ضد بعضهما البعض ، كما انهما لن تستخدماه ضد فريق ثالث الا بعد الاتفاق المشترك بينهما ، وألا تقوما بنقل أية معلومات تتعلـق بالموضوع الى فريق آخر الا بعد موافقة مشتركة من الدولتين المتعاقدتين .

الا أن الكونجرس الامريكى اصدر فى عام ١٩٤٦ قانونا يحظر بموجبه نقل أية معلومات من الحكومة الامريكية الى أية دولة اخرى ، وكان الشيخ مكماهون الذى تبنى مشروع القانون لايعرف شيئا فى هذا الوقت عن اتفاق كويبك ، وقد أبلغنى فى عام ١٩٥٢ ، انه لو كان يعلم بوجـود هذا الاتفاق لما صدر قانون مكماهون ، وقد وجهت الحكـومة البريطانية الاشتراكية (العمالية) احتجاجا فى هذا الصدد ، كما انها لم تكشف عن اتفاقية كويبك والافضاء بوجودها ، الى لجنة مكماهون على الاقل ، ولوفعلت ذلك لبررت موقفنا ، ولوفرت علينا سنوات طويلة من البحث المضـنى والباهظ التكاليف ومن التطوير ايضا ، وهكذا حرمت بريطانيا حصتهـا فى المعلومات التى كان لها حق مؤكد فيها ، وبذلك فاننا لم نتمكن من تفجير قنبلتنا الذرية الا فى عام ١٩٥٢ .

وهكذا فان الاساس المضمون لآمالنا فى السـلام يرتكز على هذه الناحية ، أى على حيازة أمريكا وتفوقها فى الاسـلحة النووية ، ولا تعتبر جيوش الدول الغربية شيئا مهما ، اذا ما قورنت بالعـدد الذى لا يحصى من الفرق التى تستطيع روسيا نشرها من البلطيق الى حدود يوغوسلافيا ولكن المعرفة الاكيـدة بأن الزحف الذى سيؤدى الى اطـلاق القوة الجوية المدمرة من عقالها ، هى الكابح الزاجر .

وعندما كانت الولايات المتحدة هى المالكة الوحيدة والفعالة للاسلحة الذرية ، كانت هناك فرصة للوصول الى تسوية عامة ودائمة مع الاتحـاد السوفيتى ، ولكن ليس من طبيعة الدول الديمقراطية أن تستخدم ماتتمتع به من مزايا وتفوق فى التهديد وفى إتباع أساليب الديكتاتورية ، ولا ريب فى أن الحالة الفكرية التى كانت مسيطرة حين ذاك ، ماكانت لتسمح بأى نوع من خشونة القول مع حليفتها السابقة ، مع أنه كان فى وسع هـليه

الخشونة لو استعملت ، أن توقف الكثير من التطورات غير اللائقة التي وقعت ، ولكن الولايات المتحدة آثرت بتأييدنا طبعا ، أن تقف موقفا أكثر تعقلا بالنسبة لمشكلات الاشراف على استخدام الاسلحة النووية وجاءت معارضة لوسائل المراقبة الفعالة فاحبطت كل شيء .

وقد أدت هذه التطورات الى تبديل كل ناحية من نواحي التخطيط العسكري والسياسي ، وأصبحت القواعد الضخمة اللازمة لتموين الجيوش في الحربين الكبيرتين الماضيتين أكثر الاهداف تعرضا للدمار ، وفي وسع قذيفة واحدة ، تلقى بها طائرة واحدة ، ان تدمر جميع المشاغل والمخازن في قاعدة قناة السويس ، التي كانت المصدر الرئيسي لتموين الجيش الثامن في الصحراء بالمعدات والذخائر ، وفي وسع الموانى مهما حمتها المدافع المضادة للطائرات والطائرات المحاربة ، أن تصبح مقبرة الاساطيل التي كانت تتولى في الماضي حمايتها ، كما كان اجلاء المدنيين وغير المحاربين من المدن اقتراحا معقولا حتى في أيام تطور الاساليب الجديدة في القصف الجوى في الحرب الاخيرة ، أما اليوم ، فعلى الرغم من الرغبة في مثل هذا الاجلاء ، فان وسائله لا تعدو أن تكون شيئا مخففا من أهوال كوارث الحرب النووية المدمرة المهلكة ، كما قد تحتم تبديل جميع الترتيبات الدفاعية لمواجهة الوضع الجديد ، ومازالت الأسلحة التقليدية ضرورية للمحافظة على النظام في ممتلكاتنا ، ولخوض مايسميه الناس بالحروب الصغيرة ، ولكننا لا نستطيع انتاج القدر الكافي منها ، لان انتاج الاسلحة النووية ووسائل توجيهها والتصرف فيها ، باهظة التكاليف للغاية بحيث تستنزف كل مخصصاتنا .

وظلت الآمال في قيام اتصالات أكثر ودا مع روسيا ، تسيطر على فكري دائما ، وبدا لي أن الفرصة قد توافرت بوفاة ستالين الفجائية في مارس عام ١٩٥٣ ، وكنت قد أصبحت رئيسا للوزارة ثانية ، وقد اعتبرت موت ستالين نقطة فاصلة في تاريخ روسيا ، فقد سبب طغيانه الكثير من الآلام لبلاده ، ولاماكن أخرى في العالم ، وكانت الشعوب الروسية في نضالها ضد هتلر ، قد بنت لنفسها الكثير من حسن النية في الغرب ، وفي الولايات المتحدة قبل غيرها من دوله ، ولم يكن في وسع أي انسان ان يتكهن بالنسبة الى سياسات الكرملين الغامضة بمن سيخلف ستالين ، وعلينا الا نقسو في الحكم على قادة روسيا ، فقد غزت أوروبا بلادهم ثلاث مرات في نحو من قرن ، وليس في وسعهم أن ينسوا بسهولة ، بورودينو وتانبرج وستالينجراد ، كما انهم لازالوا يذكرون المذابح التي قام بهـا نابليون في بلادهم ، ولا يمكنهم ان يغفروا لألمانيا القيصرية أو النازية فظائعها ، ولكن السلامة لاتتحقق عن طريق العزلة ، ولم يحاول ستالين ان يعزل الجمهوريات السوفييتية وحدها وراء ستار حديدي عسكري وسياسي وثقافي ، بل حاول أيضا ان يقيم له خطا عميقا من المراكز الأمامية في الدول التابعة ، يتحكم فيه بشدة من موسكو ، بعد أن أخضع هذه الدول لاحتياجات الاتحاد السوفييتي الاقتصادية ، ومنع كل اتصال لها بالعالم الحر ، وحتى ببعضها البعض ، ولكن لا ريب ان جميع المفكرين يرون في

بعض المظاهر الموحية بالأمل ، شيئا من الجــلاء فى الأوضاع الراهنة فالعقيدة الشيوعية آخذة فى الانفصـــال تدريجيا عن الآلة العســكرية الروسية ، وستواصل الشــعوب ثورتها على الامبراطورية الاستعمارية السوفييتية لا لشيوعيتها ، بل لانها غريبة عنها ، ولأنها طاغية ومستبدة ، ولن يؤدى سباق التسلح حتى فى الاسلحة النووية والصواريخ الموجهة الى ايجاد الطمأنينة او صفاء الذهن للدول الكبرى التى تسيطر عــلى المساحات الشاسعة من الأرض فى آسيا او شمالى أمريكا ، او الى البلاد التى تقع بينها ، وانني لا أوجه نداء لنزع السلاح ، فهذه نتيجة طبيعية ومظهر للتجاوب الحر بين الشعوب ، انه العقل الذى يسيطر على السلاح ، وانني ارى أن تتحدث الشعوب الحرة الى عقول شعوب روسيا وشريكاتها .

وقد بدا لى ان جوا أهدأ قد يسيطر بعد وفاة ستالين وبهذه الصورة عرضت بعض أفكارى عــلى مجلس العموم فى الحــادى عشر من مايو عام ١٩٥٣ ، واقترحت عقد مؤتمر غير رسمى بين رؤساء الدول الكبرى ، فقد ينجح من حيث فشلت الاتصالات الحادة المتكررة ، وأوضحت ان مثل هــذا الاحتمال يجب الا يصحب استرخاء فى علاقات الأمم الحرة واستعداداتها اذ ان اى اضعاف لجهودنا الدفاعية ، سيشل اى اتجاه نافع للسلام ، ولم يتحقق تماما ما استهدفته وبحثت عنه .

ولا أقصد مطلقا ان أنحى باللائمة على أية جهة من الجهات بالنسبة الى الأمور المزعجة التى وقعت منذ عام ١٩٤٥ ، ولا ريب ان اولئك الذين كانوا مسئولين عن الحكم فى بريطانيا فى السنوات التى تلت الحرب ، قد اضطربوا امام المشكلات المعقدة التى واجهوها فى الداخل والخارج ، وكانت الأساليب التى اختاروا اتباعها لحل هذه المشكلات ، مفروضــة عليهم ، اما من الظروف التى أوجدتها ، أو من السياسات العقائدية المقررة سلفا ، ولم تكن نتائجها دائما نافعة لبريطانيا او للعالم الحر .

وكان موضوع منح الاستقلال لشبه القــارة الهندية ، يحتل واجهة التفكير السياسى البريطانى ، وكنت قد اسهمت فى هـــذا الموضوع فى السنوات الواقعة بين الحربين ، وكنت قد حاربت استقلال الهند فى مراحله الأولى بكل ما لدى من قوة ، يؤيدنى فى ذلك نحو سبعين نائبا من المحافظين ، وعند ما أصبحت رئيسا للوزارة الائتلافيـــة ، اقتنعت بتعديل آرائى السابقة فى هذا الصدد ، ولا ريب فى أننا خرجنا من الكفاح العالمى وقد التزمنا باعطاء مركز «الدومنيون» الى الهند ، مع اعطائها الحق فى الانفصال عن جامعة الشعوب البريطانية اذا رغبت فى ذلك ، وفكرت فى ان الطريقة التى ستتبع فى اقامة الحكومة الجديدة ، يجب أن تضمن للأغلبية الكبرى من الشعب الهندى ، القدرة والحق فى اختيار ما تريده لنفسها بصــورة حرة ، واعتقدت ان عقد مؤتمر دستورى تمثل فيه جميع العناصر القوية فى الهند ، سيدلنا على الطريق لاخراج الهند التى تحكم نفسها بطريقة تمثيلية حرة ، وتتعلق بالامبراطورية البريطـــانية ، ومن الواجب ان تكون فى المشروع الجديد حصة لضمان مصالح «المنبوذين» والراجات والموالين الذين يعدون بمئات الملايين ، وغيرهم من الفئات الأخرى المهمة .

وعلينا أن نتذكر ان السنة الأخيرة من الحرب ، قد شهدت ثورة قام بها المتطرفون من رجال حزب المؤتمر الهنـــدى ، وقد أخمدت دون صعوبة وباقل ما يمكن من خسارة في الأرواح ، وكان الحزب الاشتراكي البريطاني ، يرى رأيا مخالفا لوجهة نظرى ، فهو يؤمن بأن الفائدة الكبرى تقوم في منح الحكم الذاتي في أسرع وقت ممكن ، ولم يتردد في منـــح هذا الحكم وتسليمه الى تلك الفئات التى كنا قـــد أخضعناها بسهولة ، ولم يمر عامان على انتهاء الحرب ، حتى كان الهنـــود قد حققوا هدفهم ، ففى الثامن عشر من شهر اغسطس عام ١٩٤٧ · أعلنت بريطانيا استقلال الهند ، وفشلت جميع الجهود في الحفاظ على الوحدة الهندية ، وأصبحت الباكستان دولة مستقلة · وعلى الرغم من الجهود التى بذلتها لجنة تخطيط الحدود ، فقد جاءت الحدود بين الدولتين الجديدتين مجحفة بصورة مخربة للمناطق التى تمر بها ، ونجم عن ذلك سلسلة من المذابح ، التى نتجت عن عمليات التبادل بين المسلمين والهندوس ، التى تناولت أربعمائة أو خمسمائة ألف من الرجال والنساء والأطفال فى كل منطقة من المناطق ·

وكان هناك على رأس أكبر هاتين الدولتين الجديدتين اللتين قامتا على أسس من الدماء المسفوكة ، لحسن الحـــــظ ، رجل يتمتع بمواهب ومزايا لا مثيل لها ، انه نهرو ، وكان هذا الرجل قد قضى سنوات طويلة في السجن ، وقـــد ظهر الآن كزعيم « أقلية ضئيلة من أعداء الحـــكم البريطاني » ، متحرر الى حد كبـير من خطيئتين من أكبر خطايا الطبيعة البشرية ، وهما الكراهية والخوف ، هذا وقد اغتال أحد المتعصبين غاندى، الذى تولى مدة طويلة قيادة الحركة الاستقلالية الهندية ، بعد أمد قصير من تولى نهرو رياسة الحكومة الهندية ، كما رأس جناح الدولة الاسلامية بباكستان ، وأصبح لنا علاقات طيبة بالجمهوريتين اللتين ظهرتا الى حيز الوجود ، ويحضر قادتهما اجتماعات جامعة الشـــعوب البريطانية ، ولهم شأن يذكر فى طريق الخير والشر فى آسيا وفى العالم ·

كما انفصلت بورما أيضا فى السنة نفسها التى استقلت فيهـــا الهند ، عن جامعة الشعوب البريطانية ، وكانت هذه البلاد المسرح الرئيسى للعمليات البرية التى جرت فى الشرق الأقصى ، وكنا قد بذلنا مجهـــودا رئيسيا فى استعادتها من اليابانيين الذين كانوا قد أخرجونا منها فى عام ١٩٤٣ ، وتعاونت العناصر الوطنية مع الغزاة اليابانيين لتحقيق أهدافهم الاستقلالية ، وبذلك تولت الحكم ، ولم تكن سيطرتهم كاملة على البلاد ، وحتى يومنا هذا فان قانون الحكومة البورمية لا يسرى على جميـع أنحاء البـــلاد ·

ولم يكن الصراع بين الشيوعية والعـــالم الحر ، في كل من الهند وبورما ، كبير الأهمية فى السنوات التى تلت الحرب مباشرة ، ولا ريب فى أن روسيا قد طربت لكل دليل على تضاؤل نفوذنا فى العالم ، وحاولت بكل الوسائل الموجودة تحت تصرفها أن تستغل قيام هذه الدول الجديدة ، ولكن روسيا انزلت أكبر الآثار السيئة فى الهند الصينية والملايو ، وان كان اهتمامها الرئيسى ظل متمركزا فى الصـــين ، حيث أخذ يظهر نظام جديد وسط المذابح والفوضى ، وكان نظام تشيانج كاى شك ، صديقنا

وحليفنا في الحرب ، قد أخذ يفقد سيطرته بصورة تدريجية ، وحاولت الولايات المتحدة بكل وسيلة ، الا التدخل العسكري ، ايقاف الزحف الشيوعي ، ولكن الحكومة الصينية كانت تحمل معها بذور دمارها وانهيارها ، حيث استشرى الفساد في جهازها مما شجع على تقدم الجيوش الشيوعية وساعدها ، وفي نهاية عام ١٩٤٩ كان كل شيء قد انتهى ، وسيطرت حكومة الشعب كما أسمت نفسها ، على بكين ، وعلى البر الصيني بأكمله ، وفر تشيانج كاى شيك الى فرموزا ، حيث ضمن الأسطول والسلاح الجوي الأمريكي له الاستقلال ، وهكذا انتقلت أكثر بلاد العالم سكانا الى أيدي الشيوعيين ، ولا ريب في أنها ستصبح قوة فعالة في الشئون العالمية ، وفي هذه الفترة برز نفوذ الصين في كل من كوريا والهند الصينية ، وكانت العقبات التي قامت في طريق قبول الصين في الأمم المتحدة من أبرز المظاهر في ضعف هذه المنظمة ، كما توقفت الصداقة التقليدية القائمة بين الصين وأمريكا .

وتجلت في السنة التالية المحاولات الشيوعية المضايقة للغرب ، واستغلال الشعور الوطني في آسيا ، ومحاولة السيطرة على الأماكن المكشوفة في شبه جزيرة كوريا ، ففي الهند الصينية على الرغم من أن الخصم الكبير للفرنسيين هوشي مينة ، كان منزويا في موسكو ، الا أن العون المادي الذي تلقته العصابات لم يكن على نطاق كبير ، كما أرغم عدد ضئيل نسبيا من الارهابيين في الملايو عن طريق قتل المزارعين البريطانيين والموالين من الصينيين والماليزيين أرغموا قوات بريطانية كبيرة على البقاء لاعادة فرض النظام .

وكنا أنا والرئيس روزفلت وتشيانج كاى شيك ، قد سجلنا في عام ١٩٤٣ تصميمنا على أن تكون كوريا مستقلة ، وكانت قد تحررت في نهاية الحرب من اليابانيين ، واحتل الأمريكيون الأقسام الجنوبية منها ، بينما احتل الروس أقسامها الشمالية ، وأقيمت دولتان كوريتان ، وأخذت العلاقات بينهما تتأزم وتحتد ، وغدتا أشبه ما تكونان بالدولتين الألمانيتين الشرقية والغربية ، وأحبطت المعارضة السوفييتية كل محاولة قامت بها الأمم المتحدة لاعادة توحيد البلاد ، وأخذ التوتر وحوادث الحدود يتجهان الى الازدياد ، وشرع الكوريون الشماليون في الخامس والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٥٠ ، في غزو كوريا الجنوبية ، وأخذوا يتقدمون بسرعة ، فطلبت الأمم المتحدة من الغزاة أن يتوقفوا وينسحبوا ، ولعب الحظ السعيد دورا بارزا في وقف « الفيتو » السوفييتي عن منع تنفيذ قرار مجلس الأمن ونواياه ، « اذ تغيب الاتحاد السوفييتي عن الجلسة لانه قاطعها » ولكن أخطاء نظام الامم المتحدة ظلت عرضة للاستغلال مرة بعد أخرى في السنوات التالية ، وهيأت الأمم المتحدة في هذه المناسبة الاطار الذي قامت فيه الولايات المتحدة بالعمل الفعال ، وأحاطت هذه الحقائق العارية بقرار تاريخي وخطير اتخذه الرئيس ترومان ، اذ لم تمض فترة قصيرة جدا على انتشار أنباء الغزو ، حتى كان الرئيس قد توصل الى الاستنتاج بأن التدخل العسكري الفوري للولايات المتحدة ، هو السبيل الوحيد لانقاذ الوضع ، وكانت القوات الأمريكية هي أقرب القوى

من مسرح الاعتداء وأكثرها عددا ، ولكن هذا لم يكن كل شيء ، فقد كتب في مذكراته يقول :

« وتأكدت من أننا اذا سمحنا لكوريا الجنوبية في السقوط ، فان سقوطها سيشجع الزعماء الشيوعيين على أن يطئوا بأقدامهم دولا أخرى أقرب الى شواطئنا ، واذا سمحنا لمثل هذا التطور بأن يقع دون تحد من جانبنا فانه سيعني الحرب العالمية الثالثة » .

ولا ريب في أن حزمه وحكمته وجرأته في هـذه الأزمة ، جعلتني أضعه في مصاف أعظم الرجال الذين تولوا الرئاسة في الولايات المتحدة .

وقد تبنت الحكومة البريطانية القضية الأمريكية ، وعرضت على أمريكا تقديم الوحدات البحرية ولم يأت شهر ديسمبر حتى كانت القوات البرية البريطانية أيضا على أرض كوريا ، كما أيدت المعارضة في الخامس من شهر يوليو في مجلس العموم المستر آتلي رئيس الوزراء ، وقلت بوصفي زعيما للمعارضة في تلك الجلسة ، « انني أشعر بقدرتي على مشاطرته الرأى ، في أن النتيجة الواسعة التي توصل اليها ، من أن العمل الذى قامت به الولايات المتحدة ، هو خير طريق للحفاظ على السلام العالمي » .

أما الجناح اليسارى من الحزب الاشتراكي ، فتطبيقا منه لتقاليده ظل في منأى ، عن العمل الحكيم الباسل الذى كنا نقرره حين ذاك .

وكان سير الحرب شاقا ومخيبا للآمال ، وباهظ التكاليف في الدماء التي سفكت ، حتى تمكنت قوات الحلفاء من وقف الغزاة الشماليين ، وأخذ تدخل القوات الجوية يؤتي ثمارا فعالة ، ونفذ الجنرال ماك آرثر المهمة بحماس وجرأة ، حيث استعادت قوات الحلفاء سيول في اليوم الرابع عشر من مارس عام ١٩٥١ ، ووصلت بعد شهرين الى خط العرض الثامن والثلاثين واجتازته ، وفي هذه الأثناء تدفقت قوات المتطوعين الصينيين ، كما بدأت النجدات تتدفق على نهر يالو ، في شكل جيوش كبيرة العدد وان كانت فقيرة العتاد ، ورأى القادة العسكريون الأمريكيون أن من الصعب عليهم أن يقبلوا وجود هذا « الملجأ الممتاز » ، وراء حدود منشوريا ، وكانت هناك أيضا قواعد الطائرات السوفييتية النفاثة التي كانت تتدخل بصورة مستمرة في القتال ، وعندما اشتد الضغط للسماح بمهاجمة الأراضي الصينية من الجو عارض الرئيس ترومان هذا الضغط بشدة لأن هذه الخطوة كانت متناهية في الخطورة ، وقال :

« ان الحمر يقومون بسبر أغوار الضغط في أسلحتنا ، وعلينا أن نواجه اندفاعهم بدورنا مع شعور متزايد من القلق ، وقلت لمجلس العموم في اليوم الثلاثين من شهر يناير « ان قضية العالم ستقرر في أوروبا ، فهناك يكمن الخطر الأكبر » ، وامتنعت عن الادلاء بآرائي مخافة أن يعتبر ذلك بمثابة انتقادات موجهة الى القادة العسكريين الأمريكيين ، مما قد يعرقل جهودهم ، أو يضعف الارتباطات التي توثق مصايرنا ، وقد أسهمت القوات البريطانية وقوات جامعة الشعوب اسهاما ضيقا وان كان فعالا في

القتال ، ولكن أمريكا احتملت العبء كله تقريبـا ، ودفعت الثمن بمائة ألف من زهرة شبابها .

ولن أطيل الحديث عن ميزان الانتصار والفشل في كوريا ، ولايمكن بأي حال أن نحسب النتيجة مرضية ، لكن جنوبي كوريا ظل مستقلا وحرا على كل حال ، ومنى المعتدون بنكسة بالغة التكاليف والثمن ، وأهم من ذلك كله ان الولايات المتحدة أظهرت أنهـا لا تخشى استخدام القـوة المسلحة ، دفاعا عن الحرية ، حتى في أماكن نائية ككوريا .

وقد أخذت الامبراطوريات الغربية تنهار في أماكن أخرى من القارة الآسيوية ، كما ارغم حلفـاؤنا الهولنديون على الخروج من جزر الهند الشرقية ، التي كانوا قد جعلوا منها نموذجا في الادارة الفعالة ، كمـا تحمل الفرنسيون سـنوات طويلة من خيبة الأمل ومن الحروب الموهنة المضنية في الهند الصينية ، حتى تجاوزت الاصابات بين الضباط في كل عام عدد من تخرجهم كلية سان سير من الضباط الجدد ، وتمكنت الجيوش الشيوعية التي تعززت بقوة من النجدات الصينية ، من احراز السيطرة التدريجية على شمالي البلاد ، وعلى الرغم من قصص المقـاومة البطولية ، اضطر الفرنسيون الى الجلاء عن هذه المنطقة العظيمة المأهولة بالسكان ، وبعد مفاوضات طويلة وشاقة ، أمكن انقاذ شيء ما من حطام الآمال المهدمة ، فقد ظهرت ثلاث دول جديدة الى حيز الوجـود ، وهي فيتنام الجنوبية ولاوس وكمبـوديا ، وتأكد استقلالهـا ، وان كان استقلالهـا لم يتضح تماما ، أما فيتنام الشمالية ، فقد اقامت لهـا حكومة شيوعية منفصلة شأنها في ذلك شأن كوريا الشـمالية ، وهكذا كان التقسيم من جديد ، هو الحل للصراع بين المصالح الشيوعية والغربية ، وظلت الخـلافات الداخلية تمزق هذه الدول الجديدة ، التي تهددها جارتهـا الجبارة الى الشمال .

وكانت التبديلات التي وقعت في آسيا ، شيئا لا يقاس بحساب ، ومن المحتمل أن تكون هذه التبديلات محتومة لا مناص منهـا ، واذا كان القارىء يجد في هذا العرض القصير لمحة من الأسـف ، فعليه ألا يفترض انه ناجم عن العداء لحق الشعوب الآسـيوية في تقرير مصيرها ، لكن الوسائل التي أتبعت في الوصول الى الوضع الراهن ، تستدعي قليلا من التفكير والتأمل ، فهل كان من الضروري ، أن يسفك هذا القدر الكبير من الدماء ؟ أو لم يكن في الامكان الوصـول عن طريق التطور الى النتيجة السعيدة نفسها مع مزيد من الثبات والاستقرار ، بدلا من الارتجال الذي دفع به الضغط الأجنبي ، والذي بسببه ضاع نفوذنا بسـبب الهزائم السابقة التي منينا بها في حرب الشرق الأقصى .

لقد دار شطر كبير من الحرب العـالمية الثانية للدفاع عن الجسر البري الذي يربط آسيا بافريقيا ، والحفاظ على تموينا تنا من الزيت ، وحماية قناة السويس ، وكانت دول الشرق الأوسط ، ولا سيما مصر ، قد تمتعت بمزية الحماية التي أضفيناها عليها من الغزو الألماني والايطالي ، دون أن تكلف نفسها عناء الاشتراك في الدفاع عن نفسها ، وقد أعقبت

الحرب زيادة جديدة في عدد الدول المستقلة التي كانت توجد ضمن الممتلكات السابقة للامبراطورية العثمانية ، وكان خروج الفرنسيين من سوريه ولبنان مؤلما لهم ، ولكنه كان محتوما ، وليس في وسع اى انسان ان يزعم اننا حصلنا لأنفسنا على اى قدر من الفوائد هناك ، بعد شهد العالم في هذه المنطقة اندفاعا في الاحساس الوطني ، كان من المقدر لنتائجه ان سير سيرها فيما بعد ، فالشعوب الاسلامية من أندونيسيا حتى مراكش في حالة غليان واضطراب ، وادى تصميمها الى مواجهه الدول الغربيه ولا سيما تلك التي تتحمل مسئوليات وراء البحار ، الى مشكلات ذات صعوبة خاصة ، وفي وسع هذه الشعوب ، وسط الهتافات الصاخبة للاستقلال والحكم الذاتي ، أن تنسى المنافع الكثيرة والمهمة التي أضفاها عليها الحكم الغربي ، ومن الصعب أيضا الاستعاضة عن النظام الذي طبقته الدول الاستعمارية في هذه المناطق الشاسعة ، بأنظمة جديدة ومستقرة من الحكم السيادي .

وكانت مشكلة فلسطين من أعقد المشكلات التي واجهتها بريطانيا في هذه الارجاء ، ولقد كنت منذ صدور وعد بلفور في عام ١٩١٧ ، من أخلص أنصار القضية الصهيونية ومؤيديها ، ولم أشعر قط ان البلاد العربية قد جنت منا الا العدل في معاملتها ، فالعرب مدينون لبريطانيا ولبريطانيا وحدها في وجودهم كدول ، فنحن خلقنا هذه الدول ، فلقد دفعت الأموال البريطانية والمستشارون البريطانيون بها سريعا في طريق التقدم ، وكانت الأسلحة البريطانية هي التي تتولى حمايتهم ، وكان لنا ، وما زال كما آمل ، عدد من الأصدقاء الأوفياء والشجعان في المنطقة ، وكان الملك عبد الله حاكما في منتهى الحكمة ، وادى اغتياله الى زوال الفرصة في تسوية سلمية للمشكلة الفلسطينية ، وكان الملك ابن السعود حليفا قويا ، وكنت أتابع في العراق باعجاب سلوك نورى السعيد الشجاع والحكيم ، اذ كان يخدم باخلاص ملكه ، ويقود بلاده في طريق الحكمة ، دون أن يتأثر بالتهديدات الخارجية ، أو بالضجيج المتأثر من الخارج في الوطن ، ومن سوء الحظ أن هؤلاء الرجال كانوا من الشواذ (١) .

وواجهت الحكومة البريطانية كدولة منتدبة ، المشكلة الشاقة من الجمع بين هجرة اليهود الى « وطنهم القومي » ، وحماية حقوق السكان العرب ، ولايستطيع الا القليلون منا لوم اليهود على آرائهم العنيفة المتطرفة في هذا الموضوع ، وليس في مكنة شعب عانى خطر الابادة الكلية لوجوده القومي ، أن يكون عاقلا ومنطقيا كليا ، ولكن أعمال الارهابيين اليهود الذين حاولوا تحقيق أهدافهم عن طريق اغتيال الموظفين البريطانيين والجنود ، كانت مظهرا غريبا من مظاهر نكران الجميل ، ترك أثرا عميقا في النفوس ، وليس هناك من بلاد في العالم أقل صلاحا لمقارعة الارهاب من بريطانيا العظمى ، ولايعود هذا الى الضعف أو الجبن ، وانما الى ضبط النفس والفضائل ، والى طريقة الحياة التي عشناها في جزيرتنا التي

---

(١) يدل هذا الرأى على وجهة نظر الاستعمار وارتماء حكومات هذه الدول في أحضان الاستعمار (المترجم)

نجحنا في الدفاع عنها ، وأحست الحكومة البريطانية بلذعة جرائم القتل في فلسطين ، وبالمهانة من بلاد الشرق الأوسط ، وحتى من حلفائنا ، فكان من الطبيعي أن تقرر أخيرا في عام ١٩٤٨ غسيـــل أيديهـــا من مشكلة فلسطين ، وان تترك اليهود وحدهم ، يجدون طريقة خلاصهم وأدت الحرب القصيرة التي وقعت بصورة مسرحية ، الى تبديد ثقة البـــلاد العربية في نفسها ، بعد أن أطبقت على فلسطين آملة في نصر سريع .

وأدى العنف الذي صاحب ولادة دولة اسرائيل الى اشتداد المتاعب في الشرق الأوسط بصورة مستمرة ، واني لأتطلع باعجاب الى ماتم انجازه من عمل هناك في بناء دولة واستصلاح صحراء وتقبل هذا العدد الكبير من اليهود من جميع أطراف المعمورة ، ولكن الوضـــع قاتم تماما ، فوضع مئات الألوف من العرب الذين أخرجوا من ديارهم ، والذين يعيشون حياة الفاقة والعوز ، في المناطق الحرام التي خلقت حول حدود اسرائيل ، خطر وفي منتهى الوحشية ، ويكثر العرب من ترديد العداء الذي لا ينـــطوي ولا يزول للدولة الجديدة ، ولا يستطيع القادة العرب الأبعد نظرا ، أن يدعوا الى الاعتدال ، دون أن يتعرضوا لخطر الاسكات والتهديد بالاغتيال، انه منظر مظلم وخطر وعنيف لا حدود له ، وهناك شيء واضح ، فالشرف والحكمة يتطلبان بقاء دولة اسرائيل والحفـــاظ عليها ، والسماح لهذا الشعب بأن يعيش في سلام مع جيرانه « شرف من ياترى ! » وفي وسع هذا الشعب أن يأتي الى المنطقة باسهام لا يقـدر بثمن من المعرفة العلمية والعمل والانتاج ، ومن الواجب اعطاؤه الفرصة لمصلحة الشرق الأوسط كله .

وقبل أن انتهي من هذا العرض الموجز للأمور التي آثرت على منذ انتهاء الحرب أرى أن ألقي نظرة على الامم المتحدة ، ففي وسع أي جهـــاز لحكومة عالمية أن يفشل بسهولة في تحقيق غرضه ، وكان من رأيي عندما دنت الحرب من نهايتها ، ان من الواجب أن تتحكم أعظم العقـــول وأعظم الأفكار التي يملكها البشر في مصير العالم ، وكان هذا المشروع يقضي ، اذا تحتم تمثيل جميع البلاد كبيرها وصغيرها ، أن تضعف البلاد المذكورة ، فالمغزى الذي تقدمه الأمم المتحدة ، ليس الا تأكيدا لا جدوى منه لتعادل النفوذ والسلطان ، لا يمت بصلة الى الحقـــائق المجردة ، وقد أسفرت النتيجة عن عمليات من النشاط اللامع وراء الكواليس تحاول أن تقبض على زمام الحكومة العالمية ، وقد استعملت كلمة « المحاولة » لأن صـــوت أي بلد لا يعد سكانها أكثر من مليون أو مليونين ، لا يمكن أن يقرر أو حتى يتحكم في أعمال الدول الكبرى ، وتميل الأمم المتـــحدة في شكلها الحـــالي الى مصانعة الدول الديكتاتورية وأرهاب الدول الضعيفة ، وليس من حق الدول الصغرى ، أن تتحدث باسم الجنس البشري كله وعليها أن تقبل ، ولا ريب في انهـــا ســـتقبل ذلك عن طيب خاطر ، مرتبة أكثر خفضا ، ولكنها أكثر قربا من الدول الكبرى ، ويجب أن تقـــوم على حكم العالم مجموعة من القادة البارزين في مجموعات من البـــلاد المؤلفة حسب أوضاعها الجغرافية وان عملية السماح لهذه المجموعات بأن تؤلف نفسها دون الحكم عليها بحسب قواتهـــا أو عدد سكانها هي التي تتولى تقرير الموضوع كله .

ولا أرى من وراء كل ماقلت ، الايحاء بأن جميع الجهود والتضحيات التى بذلتها بريطانيا وحلفاؤها ، والتى سجلتها فى هذه المذكرات قد ضاعت عبثا ، ولم تؤد الا الى قيام وضع أكثر خطورة وظلاما ، مما كان عليه الوضع فى البداية ، واننى على النقيض من ذلك ، أتمسك برأيى السابق فى أن محاولاتنا لم تذهب سدى ، فقد أصبحت روسيا دوله تجارية عظمى ، ويجزى أهلها فى كل يوم بحماس تام ومتزايد هذه التعقيدات والملطفات الموجودة فى الحياة البشرية ، التى تجعل من خطط كارل ماركس ومشروعاته ، أمورا مضى عهدها ، وغدت أصغر من ان تتفق مع المشكلات العالمية ، ولقد أخذت القوى الطبيعية تعمل بحرية أكبر ، وبفرصة أعظم ، فى نشر الآراء والأفكار المتعلقة بفردية الرجال والنساء وتنويعها ، وهذه القوى أضخم وأكثر ليونة فى هذا الكيان الواسع من امبراطورية الكون ، مما قد تصوره كارل ماركس فى كوخه الحقير ، وعند ما يضيق نطاق الحروب نفسها بالفرعية المتبادلة نفسها للقضاء عليها ، يصبح من المتوقع بصورة متزايدة تأجيلها وعدم اللجوء اليها ، وستستمر الخلافات حتما بين الدول أو القارات أو مجموعات الدول ، ولكن المجتمع الانسانى سينمو فى أشكال متعددة ، بحيث لا تفهمه الأجهزة الحزبية ، وما دام العالم الحر متماسكا والحالة هذه ، ولا سيما بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، ومادامتا تحتفظان بقوتهما ، فستجد روسيا ان السلام والرخاء أجدى نفعا من حرب الابادة ، وان توسيع آفاق الفكر ومجالاته ، عملية تتطلب الاندفاع عن طريق البحث عن الفرص لكل من يطلبها ، ومن الخير أيضا ، اذا ما التزم الجميع جانب الحكمة والروية ، أن تسيطر الرغبة فى تأمين الفرص للجميع على مشاعر الجنس البشرى وتعمل بمثابة ضابط لها .

شارتويل ـ ويسترهام ـ كنت　　　　ونستون تشرشل

١٠ فبراير ١٩٥٧

تم الكتاب

هيئة قناة السويس

عمليات المياه فى منطقة القناة

توزع هيئة قناة السويس على سكان مدن القناة الثلاث عشرين مليون متر مكعب من المياه المكررة سنويا وهى تقوم بعملية ترشيح المياه فى كل مدن بور سعيد والاسماعيلية والسويس ، كما تملك معامل لتحليل المياه تجرى فيها اختبارات مستمرة للاطمئنان على نقاوتها وخلوها من الشوائب

ويبلغ متوسط عدد العينات التى يتم اختبارها سنويا حوالى ستة آلاف عينة والطريقة المتبعة فى الترشيح بمحطات مياه الهيئة هي طريقة الترشيح البطىء حيث ترسب المياه فى أحواض خاصة بعد اضافة كبريتات الالمنيوم (الشبة) اليها بمقادير تتراوح بين ١٥ ، ٤٠ جراما فى المتر المكعب ...

وتمر المياه بعد ترسيبها فى احواض متتابعة خلال حبات من الحصى يصغر حجمها من حوض الى حوض حتى تصل الى حوض مزود برمل خشن تتسرب خلال حباته .وتكون اذ ذاك قد فقدت ٩٥٪ تقريبا من المواد العالقة بها ...

وبعد ذلك تصل المياه الى المرشحات ذات الرمل الناعم، فتخرج منها نقية طاهرة

وتبحث الهيئة الآن طريقة احدث باستعمال مادة كلورود الحديد فى عمليات الترسيب .

ويبلغ متوسط انتاج عملية المياه فى بورسعيد حوالى ٣٨٠٠٠ متر مكعب يوميا ، وفى السويس ٢٧٠٠٠ ، وفى الاسماعيلية ١٨٠٠٠ ، وتقوم الهيئة بالاستعدادات اللازمة لمواجهة كل زيادة مستقبلة فى عدد سكان مدن القناة الثلاث.

وتتولى عمليات المياه تموين مبانى وورش الهيئة بما يلزمها من مياه ، فضلا عن سكان مدن القناة الثلاث ...

كما يستخدم فى تموين السفن فى مينائى السويس وبور سعيد .. وتقوم الهيئة من جانب آخر بتشغيل طلمبات للمياه العكرة بالاسماعيلية والقنطرة لرى المزروعات وخاصة مشاتل الهيئة وحدائقها المنتشرة على جانبى ترعة الاسماعيلية

هيئة قناة السويس

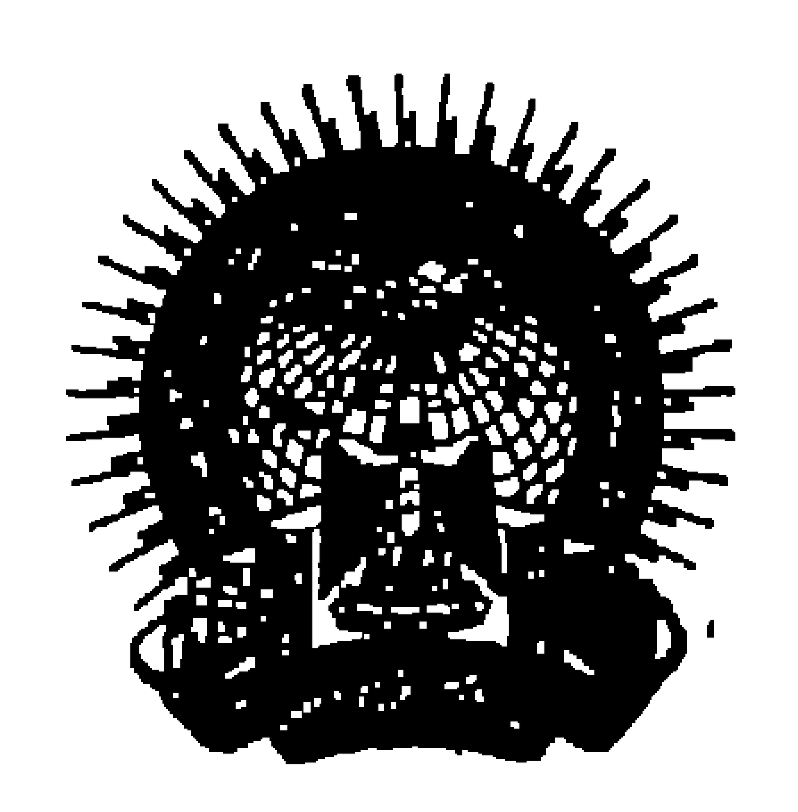
الحياة الاجتماعية

ان طاقة الفرد الانتاجية مرهونة بتوافر وسائل اظهارها وتنميتها ، فاذا ماتوافرت لعامل مقومات العمل المنتج من رزق وفير وسكن مريح واطمئنان على المستقبل ، تضاعفت قـــواه وازداد نشاطه وجزل انتاجه ·

تلك هي القاعدة التي تطبقها هيئة قناة السويس على مستخدميها من موظفين وعمال : رواتبهم مرضية ومساكنهم صـــحية وتباشير مستقبلهم جديرة بأن تبعث الاطمئنان فى القلوب · وفى هذا الجو المشـــبع بروح السكينة والأستقرار يعمل ما يقرب من ١٠٠٠ موظفـه وحـوالى اربعة آلاف عامل ليضمنوا نجاح سير المرفق العظيم ·

كما توفر الهيئة لموظفيها وعمالها وسائل التقرب الى الله حتى يؤدوا فروض دينهم كاملة · فالعمال الراغبون فى تادية فريضة الحج يحصلون على اعانة ستون جنيها تعطى لهم مرة واحدة خلال خدمتهم ·

كما تشجع الهيئة عدة مدارس اسهاما فى تربية النشىء الجديد وتزودها بالاعانات المادية المعنوية · وتضـــع تحت تصرف مستخدميها ـ بايجار زهيد ـ ١٣٧٤ مسكنا شيدت خصيصا من أجلهم وروعى فى تصميمها توافر كافة أسباب الصحة والراحة ·



١٥٧ شارع عبيد ـ روض الفرج
تليفون ٤٠٥٨٨ ـ ٤٠٨١٤
٤٠٧٥٣ ـ ٤١٠١٢

مجموعة

اخترنا لك

تصدر

اسبوعية باللغات العالمية

يشترك فى تحريرها وإعدادها

لجنة " اخترنا لك "



المراسلات

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢

العدد ١٤١ الثمن ١٠ قروش